موضوع البحث

# الخطاب الإعلامي في شعر الدعوة الإسلامية

# ( حسان بن ثابت – كعب بن مالك – عبد الله بن رواحة )

# ( أنموذجاً )

---


الباحثة

د . سعدية حسين البرغثي

أستاذ مشارك

جامعة بنغازي – كلية التربية – قسم اللغة العربية


2020 م

ملخص البحث

يظهر البحث العلاقة بين الشعر والإعلام، وكيف يمكن أن يندرج الشعر في المفهوم الإعلامي في العصر النبوي الذي اتخذ من الشعر وسيلة إعلامية فاعلة، والحضور القوي للإعلام الشعري في مسيرة الصراع بين الحق والباطل.

تناول هذا البحث موضوع الخطاب الإعلامي في شعر الدعوة الإسلامية ( حسان بن ثابت ، كعب بن مالك ، عبد الله بن رواحة ، أنموذجًا ) وهدفت هذه الدراسة إلى إبراز دورهم الإعلامي في نشر الدعوة والذود عن رسول الله ، عندما وقف شعراء قريش ضده وصارحوا بالعداء بسبب ما جاء به من دين جديد يخالف دين آبائهم .

وعندما بدأت المواجهة بين الرسول والمشركين من أهل قريش انتدبهم الرسول للرد على هؤلاء المشركين، واتخذوا موقف الحرب الإعلامية بينهم وبين شعراء الشرك وهم :( عبد الله بن الزبعرى، أبو سفيان بن الحارث، هبيرة بن وهب ) وانهالت من أفواههم قذائف السخط على شعراء الكفار وانطلقوا لأداء مهمتهم بكل جد وثبات ، كانوا من أشد الناس حباً و ولاءً وطاعة للرسول منذ وطأت قدماه المدينة ، وكان شعرهم من أرقى أنواع التعبير الإنساني وهو أشد من ضرب السيف والنبل ، إنه السلاح الأول الذي دافعوا به عن الرسول وعن الدعوة .

إن خطابهم الإعلامي يؤكد دورهم القيادي في تعبئة المسلمين وتشجيعهم وتوجيههم معنوياً والرسول يقرهم على ذلك ويشجعهم، إن الإعلام الإسلامي عاش في كنف الرسول عليه الصلاة والسلام، ونما برعايته وإشرافه، من خلال نماذج تطبيقية كثيرة من شعر الدعوة الذي يعد وسيلة إعلامية في عصر من أزهى عصور الإسلام وهو العصر النبوي .

The executive summary of this research:

It manifests the correlation between poetry and media, and how poetry was employed as an effective medium during the prophetic epoch in the battle between good and evil.

This research deals with the media discourse in the Islam-preaching era using the poetic works of well-known artists like Hassan ibn Thabet, Ka'ab ibn Malik and Abdullah ibn Rawaha, as models. It aims to highlight their poetry as a medium in the spread of Islamic call and in defending the messenger of Islam in times when Arab Qurshite poets stood against him, and spread their hatred towards the new religion that is different from theirs.

When the standoff between Muslims and the Qurshite infidels started; the Prophet used his allied poets to counter-attack his opponents. They stood tall in the media war poets like Abdullah ibn al-Zab'ari, Abu Sufian ibn al-Hareth, Hubira ibn Wahb, who were effective and lethal against the infidels, and were solid and steadfast in their response. Those great poets were known for their unlimited love and loyalty to the Prophet the moment he entered Medina. Their poetry was amongst the most noble and finest human expressions, and at the same time was the boldest in defending the Prophet and his Call to Islam.

Their media discourse ensures their leadership role in mobilizing Muslims by morally directing them as well as encouraging the defense approach that was ensued by the Prophet. This so-called Islamic media started under the auspices of the Prophet, and grew by his directions and care, through many

applicable models of Islamic-Call poems, that is considered as a media instrument in the times of the best of Cultural-Islam and the prophetic period.

## المقدمة :

الحمد لله حق حمده، والصلاة والسلام على من بلغ الرسالة ونصح الأمة سيدنا محمد خير معلم المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه أجمعين ومن سار على هديه إلى يوم الدين وبعد:

فقد أرسل الله تعالى نبيه محمدا ﷺ بشيراً ونذيراً وداعياً الى الله بإذنه وسراجاً منيراً ، يدعو الناس إلى توحيد الله عز وجل ليخرجهم من الظلمات إلى النور ومن الضلال إلى الهدى والصراط المستقيم ، وقد تزامنت بداية الدعوة الإسلامية مع بلوغ العرب شأواً كبيراً فى البلاغة والفصاحة وتربعهم على عرش البيان شعره ونثره ، وقد احتل الشعر ذروة سنام ملكاتهم ، فأبدع فيه شعراؤهم وجودته قراءتهم ، وما إن أخذت الدعوة الإسلامية طريقها وبدأ الجهاد فى سبيل الله ، حتى دخل الشعر معركة الدعوة والكفاح ، حيث قام شعراء المشركين بهجاء رسول الله ﷺ والصد عن سبيل الله تعالى .

ولما آذن شعراء الشرك الدعوة بحرب إعلامية شارك فيها مناوئو هذه الدعوة كشعراء ثقيف واليهود، فكان لزاماً على الدولة الإسلامية أن تدافع عن سمعتها، وتهاجم أعداءها بالسلاح الذى انتقوه وفى الميدان الذى اختاروه فلجأت إلى الشعر، لأن الشعر ونظم القوافي وسيلة إعلامية مناسبة للنيل من الخصم وإرباكه .
فأدرك الرسول خطورة هذه الحرب الإعلامية، واتخذ من الشعر وسيلة إعلامية، واستنفر شعراء المسلمين للرد على مشركي قريش فتقدم حسان بن ثابت، وكعب بن مالك، وعبد الله بن رواحة فوزع الأدوار الإعلامية عليهم .

يسعى هذا البحث للإجابة عن بعض التساؤلات التي تتعلق بالخطاب الإعلامي في شعر الدعوة الإسلامية وهي : هل أدى شعراء الدعوة دورهم الإعلامي في نشر الدعوة ، والذود عنها والتصدي لشعراء قريش ؟

والسؤال الأهم هل استطاع الخطاب الإعلامي في شعر الدعوة الإسلامية أن يكون وسيلة إعلام عصره ؟

وهل استطاع أن يعبر بصفتها وسيلة إعلامية لنشر مبادئ وقيم الدين الإسلامي الحنيف وتعميمها بين الناس؟

أردت من خلال هذا البحث إلقاء الضوء على الخطاب الإعلامي في شعر الدعوة، وتبيان دور شعراء الرسول على أساس من فهم طبيعة الشعر نفسه، فشعر الدعوة هو شكل من أشكال العملية الاجتماعية، مما يجعله يمتاز بالتعبير عن الفرضية والتفاعل معاً، بمعنى أن له شكل اتصالي وإعلامي ينطوي على التفاعل والمشاركة.

وكان أهم ما دفعني من أسباب لاختيار هذا الموضوع ما يأتي :

1- تقديم دراسة أدبية إعلامية تعمل على الكشف عن مزايا التعبير الإعلامي للغتنا وشعرنا، مما دفعني لتناول هذا البحث ليكون مدخلًا لفهم السمات الإعلامية التي تمتع بها شعر الدعوة الإسلامية بصفتها وسيلة إعلامية.
2- تأكيد صلة الأدب العربي القديم وفنونه يحقق الربط بين دراسة الإعلام والخطاب الشعري، في ضوء ما يمكن أن نطلق عليه الأدب الإعلامي، مما يسهم في تطور هذا المجال من العلوم الإنسانية، لما للغة والأدب من علاقة بالإعلام .

3- أصبحت الحاجة لدراسة الأدب بصفتها وسيلة إعلامية حاجة ملحة في حياتنا المعاصرة نظرًا لأهمية الأدب في تشكيل الحياة الاجتماعية وقضايا التنمية إذ من غير الممكن قيام أي مجتمع دون إعلام أدبي يراقب ويوجه ويقيم ، مع العلم أن الفكر الإسلامي منبع فياض لكل فكر إنساني يهدف إلى بناء الحياة الإنسانية وتطويرها .

واقتضت طبيعة البحث اختيار المنهج الوصفي التحليلي لتحديد الرؤيا التي تنطلق منها هذه الدراسة من خلال إبراز أبعادها وملامحها في إطار الخطاب الإعلامي لشعراء الدعوة .

كما أخذت من بعض المصادر والمراجع بالقدر الذى يخدم موضوع البحث فى مباحثه الثلاثة منها :

كتاب سيرة ابن هشام، والاستيعاب فى معرفة الأصحاب لابن عبد البر، والإصابة فى تمييز الصحابة للحافظ بن حجر العسقلانى، والأغانى لأبى الفرج الأصفهاني، ودواوين الشعراء الثلاثة ، وكتاب حسان بن ثابت للدكتور محمد طاهر ، وشعر النقائض فى السيرة النبوية للدكتور شوقى رياض أحمد ، والأدب الإسلامى في عهد النبوة وخلافة الراشدين للدكتور نايف معروف، دور الشعر في معركة الدعوة الإسلامية للدكتور عبد الرحمن خليل ابراهيم.

ووفقاً لطبيعة الموضوع والمادة العلمية، قسمت البحث إلى مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث على النحو الآتي :

بينت في المقدمة: أهمية الموضوع وسبب اختياره ومنهجى فيه والخطة التى سرت عليها فى البحث.

التمهيد: وفيه أهمية الإعلام الإسلامي إذ يسهم في توضيح الصورة الإعلامية لشعراء الدعوة .
مفهوم الخطاب لغةً واصطلاحاً: ومفهوم الإعلام لغةً واصطلاحاً، والإعلام فى القرآن الكريم والسنة.

المبحث الأول: الخطاب الإعلامى في شعر حسان بن ثابت. مدائح حسان الإعلامية . فخره الإعلامي .

الهجاء والمناقضات الإعلامية .

المبحث الثانى : الخطاب الإعلامى في شعر كعب بن مالك. دوره في الإعلام الحربي .الحرب الإعلامية بينه وبين المشركين .هجاؤه الإعلامي . شعره الإعلامي في رثاء الشهداء .

المبحث الثالث : الخطاب الإعلامى في شعر عبد الله بن رواحة . شعره الإعلامي في الدعوة إلى الله ، والإيمان برسوله . شعره الإعلامي في المدح . رثاء الشهداء . استشهاده .

الخاتمة : وقد ذكرت فيها أهم النتائج التى توصلت إليها ، ثم أتبعتها بفهرس للمصادر والمراجع ، وآخر للموضوعات.

وأخيرًا آمل أن يكون هذا البحث قد ألقى ضوءًا كاشفًا على الخطاب الإعلامي في شعر الدعوة الإسلامية ، فشاعر الدعوة يحمل رسالة إعلامية هادفة ، وهذا يعني أن حسان بن ثابت ، وكعب بن مالك ، وعبد الله بن رواحة، قد بلغوا منزلة عالية في هذا المجال، وأدوا دورًا إعلاميا خطيرًا في نشر الدعوة الإسلامية، والذود عنها.

فإن وفقت فمن الله وحده ، وإن أخفقت فما قصرت عن عمد والله من وراء القصد ،،،

## التمهيد

كان للشعر عند العرب مكانة مرموقة فهو ديوانهم والسجل الذى حفظوا فيه مآثرهم ومفاخرهم وأنسابهم ،

لذا كان الشاعر لسان حال القبيلة والمدافع عنها، وبظهور الإسلام تعرض المسلمون إلى أذى شديد من قريش وأتباعها خاصة على لسان شعرائها، فأدرك النبي ﷺ دور الكلمة وسرها فى النفوس وأنها سلاح ذو حدين ، إن استعملت فى الشر أوجعت وإن وظفت فى الخير نفعت ، فكان بحاجة ماسة إلى الشعراء ليقفوا معه فى دعوته ويدفعوا عنه شر شعراء قريش وينشروا معه مباديء الإسلام وقيمه السمحة .

ولأن الشعر كاد أن يكون آنذاك الوسيلة الإعلامية الوحيدة ، استغله كفار قريش فشنوا حملة إعلامية مسعورة ،فهجوا الرسول وأصحابه ، وألبوا عليهم القبائل للنيل من الدعوة الإسلامية للقضاء عليها ، فأدرك الرسول خطورة هذه الحرب الإعلامية ، فاتخذ من الشعر وسيلة إعلامية ، واستنفر شعراء المسلمين للرد على شعراء المشركين ، فتقدم إليه حسان بن ثابت ، وكعب بن مالك ، وعبد الله بن رواحة ، فوزع الأدوار الإعلامية عليهم فى ضوء ما يحسنه كل واحد منهم ، فكان حسان وكعب يعارضانهم بمثل قولهم بالوقائع والأيام والمآثر، ويعيرانهم بالمثالب ، وكان عبد الله بن رواحة يعيرهم بالكفر ( الأصفهانى ، 1992م : 4 / 145)

شهد الرسول لهؤلاء الشعراء بالإحسان حين قال " أمرت عبد الله بن رواحة فقال وأحسن، وأمرت كعب بن مالك فقال وأحسن، وأمرت حسان بن ثابت فشفى وأشفى ( المصدر نفسه ، 1992: 4 /288 )

وتبرز أهمية هذا البحث من كونه رسالة تعريف للخطاب الإعلامي لشعراء الدعوة الإسلامية في طور النبوة إذ يسهم فى توضيح الصورة الإعلامية فى تراثنا الخالد ، وحينما نتحدث عن دورهم الإعلامي فإننا نتناول أجود التراث الذى وصلنا من الشعر العربى النابض بكل معانى الحياة ، فهو يعبر تعبيراً صادقاً عن حياة أسلافنا القدماء كما إنه قطعة نادرة من تاريخ أمتنا العربية فالشاعر يحمل رسالة إعلامية هادفة ، وهذا يعنى أن حسان بن ثابت ، وكعب بن مالك ، وعبد بن رواحة قد بلغوا منزلة عالية فى هذا المجال ، وقد أدوا دوراً إعلامياً خطيراً فى نشر الدعوة الإسلامية وتقوية الروح المعنوية للمسلمين وإضعاف معنويات المشركين ، والرد على افتراءاتهم وأكاذيبهم والتصدي للشائعات المغرضة وكشفها وتعريتها للحد من تأثيراتها .

فقد دافعوا عن الإسلام بألسنة حادة لتكون كلمة الله هى العليا وكلمة الذين كفروا هى السفلى، فهم الناطقون الإعلاميون للدعوة الجديدة، كما كانوا رجال إعلام عصرهم، وشعرهم وسيلة إعلامية لنشر مبادىء وقيم الإسلام الحنيف وتعميمها بين الناس فقد أعدهم رسول الله ﷺ ليكونوا قوة إعلام وأجهزة نشر، وحثهم على الإنشاد ليكونوا دعاة فى الدعوة إلى الدين الإسلامى والإيمان بالله ونبذ عبادة الأصنام .

كانوا شعراء رسول الله ﷺ الذين يردون الأذى عنه بأسلوب إعلامي تتجلى فيه الموضوعية ويتألق فيه نجم الحق والعدل ، وأخذوا على عاتقهم مؤازرة نبي الإسلام والمسلمين ، فكان لشعرهم الإعلامي الدور الرئيس في نشر الدعوة الإسلامية .

## مفهوم الخطاب لغةً واصطلاحاً :

ورد في لسان العرب أن الخطاب هو "مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبةً وخطاباً خطب : فعل يخطب خطابة وخطبة ، خطب في الجمهور ألقى حديثاً أو كلاماً ، أي خطبة ."(ابن منظور ، 1997م : مادة خطب )

خاطبه: كالمه وحادثه . الخطاب: الكلام ، وفي التنزيل العزيز { وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب } سورة ص الآية 20

وعرف بأنه " كل نطق أو كتابة تحمل وجهة نظر محددة من المتكلم أو الكاتب، ويفترض فيه التأثير على السامع أو القارئ مع الأخذ بعين الاعتبار مجمل الظروف والممارسات التي تم فيها " ( الطيار ، 2005 : 13)

وفي ضوء ماسبق يمكن أن نعرف الخطاب بأنه إيصال الأفكار إلى الآخرين بواسطة الكلام المفهوم، واللغة في ذلك هي أداة الخطاب يعني وعاء الأفكار .

**مفهوم الإعلام لغةً :**

مصدر الفعل الرباعى " أعلم، يقال : أعلم يعلم إعلاماً ، بمعنى أخبره إخباراً ، وفى لسان العرب " علم العلم وأعلمه إياه فتعلمه " ."(ابن منظور ، 1997م : مادة علم )

ويقال : "استعلم لى خبر فلان وأعلمنيه حتى أعلمه ، واستعلمني الخبر فأخبرته إياه وعلم الأمر فتعلمه وأتقنه" (الفارابي ، د . ت : 330)

وأعلم من العلم الذى هو "إدراك الشيء على حقيقته، وأعلمته وعلمته فى الأصل واحد إلا أن الإعلام اختص بما كان إخباراً سريعاً، والتعليم اختص بما يكون بتكرير وتكثير حى يحصل منه أثر فى نفس المتعلم"( الراغب الأصفهانى، 2010م : مادة علم ) فلا يخرج معنى الإعلام لغة عن الإخبار بالشيء أو الأمر أو الإبلاغ عنه أو الإعلام به أي الإيصال والنقل ، ومعنى الإعلام هو وضع العلامة على شيء لإظهاره وإبرازه .

ويمكن القول إنه وضع العلامة على الشيء وهو وسيلة للكشف عن معرفة لدى واضعها يريد أن يظهرها للناس ويطلعهم عليها ويعممها بينهم فالإعلام ينطوى على الكشف عن المعلومات والمعارف والاتجاهات وإبرازها للناس ( إمام ، 1976م : 14) ومن هنا يتضح لنا أن اللفظ العربى للإعلام يحمل فى تضاعيفه عدة معان متقاربة تارة ومتباعدة أخرى ، فهو بمفهومه المعاصر يعني الاستعلام عن الحوادث والأخبار .

**مفهوم الإعلام اصطلاحاً:**

هو التعبير عن ميول الناس واتجاهاتهم وقيمهم ويمكن تعريفه بأنه نشر للمعلومات والأخبار والأفكار والآراء بين الناس على وجه يعبر عن ميولهم واتجاهتهم، ويعتبر الألمانى اتوجروت من الأوائل الذين عرفوا الإعلام بقوله " الإعلام هو التعبير الموضوعي لعقلية الجماهير وميولها واتجاهاتها فى نفس الوقت "( إلمرجع نفسه ، 1976م : 315)

ويعرفة السيد هادي نعمان الهيتي بأنه " عملية تزويد الناس بالأخبار والحقائق والمعلومات الصادقة عن طريق وسائل خاصة، أو هو اطلاع الرأي العام فى الداخل والخارج على ما يدور من أحداث ووقائع ، وبث الثقافة والوعي بين صفوفه "( الهيتي ، 1969م : 21)

ويعرفة آخرون بأنه " الأسلوب المنظم للدعاية السياسية أو ترويج الأفكار فى وسط مهيأ نفسياً لاستقبال السيول الفكرية التى تقذفها المصادر التى تتحكم بالرأى العام، وتمسك زمام الأمور بيد من حديد "( الأعرجي ، 1976م : 9 )

ومن خلال عرضنا لهذه التعريفات نجد أن علماء الإعلام يجتهدون فى وضع تعريف أمثل لهذا المصطلح الحديث ،إن ثمة شبه اتفاق فى أساسيات العمل الإعلامي وفى المبادىء والأسس التى يقوم عليها الإعلام . وهذا يعني أن الإعلام الذى لا يقوم على أساس من الواقع بل على الخيال والافتراضات ينفي عنه مفهوم الإعلام، وإذا لم يكن الصدق والأمانة منهاجاً في الحصول على البيانات واستيقائها من مصادرها، فإن الإعلام يفقد أهم دعامة له وهى الصدق . وإذا لم يعبر الإعلام تعبيراً صادقاً وأميناً عن تراث الأمة وعادات الناس وتقاليدها التى يتوجه إليها، وأن يناسب ثقافاتهم وتفكيرهم ومبادئهم وقيمهم فإنه سوف لا يلائمهم، وبالتالي لا يستطيع الناس فهمه أو التجاوب معه.

**الإعلام فى القرآن والسنة:**

إن القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة قد احتوت واستخدمت كثيراً من المصطلحات الإعلامية، نحو الرسائل التى كان يرسلها رسول الله ﷺ إلى الأمراء والملوك ويدعوهم فيها إلى الإسلام ، ونحو قوله لأصحابه:" بلغوا عنى ولو آية " ( البخاري ، 1422هـ : 3461)

ولقد استخدم القرآن الكريم الكثير من المصطلحات الإعلامية منها على سبيل المثال لا الحصر (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ ) سورة المائدة الآية 67

(مَّا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ ) سورة المائدة الآية 99

( وقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ ) سورة يوسف الآية 50

والمتتبع لمصطلحات الإعلام والدعوة والإخبار والتبليغ فى القرآن والسنة يجدها قد استخدمت بدقة وعبرت عن حقيقة هذه الدعوة والهدف التى ترمى إليه .

هذه الدعوة لا تؤتي ثمارها حتى يكون لها طرائق ووسائل يستخدمها كل رجل إعلامي، وذلك يختلف من زمان إلى زمان ويتطور بتطوره فكانت وسائل الإعلام فى عهد النبي: الآذان، والخطبة، والشعر، والرسالة المكتوبة، أو الإتصال الشفهي، والقدوة الحسنة .

ونحن بحاجة ماسة إلى إعلاميين يؤثرون بسلوكهم قبل أن يؤثروا بأقوالهم، وأن يكونوا النماذج الصادقة الحية لما يبلغون به الناس، فالقدوة الحسنة هى أقوى وسيلة إعلامية، وبمثل هؤلاء انتشر الإسلام فى أركان الأرض لا على أيدى علماء متخصصين، ولا إعلاميين مدربين، لكن على أيدى شعراء مخلصين دأبوا على العبادة والطاعة وجمعوا بين الدين والدنيا، وأخلصوا لله النية والعمل، فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة .

وأحسب أن دور الشعراء مهم فى المجتمع، بل هم أصحاب رسالة إعلامية هادفة أيضا ويساهمون فى تغييره، وقد يؤول الأمر إليهم فى تنبيه الناس ومعالجة قضاياهم ومساعدتهم على استيعاب أوضاعهم ودورهم الخطير فى تطورهم وزيادة وعيهم، فهم الحوصلة الجامعة للثقافة السائدة فى المجتمع .

ما أحوجنا اليوم _ نحن المسلمين _ إلى خطاب إعلامي متميز يعمل على بيان الحق ويكشف عن وجوه الباطل ويحمي شبابنا من هذا الغزو الذي يجتاح العالم العربي والإسلامي .

## المبحث الأول

## الخطاب الإعلامى في شعر حسان بن ثابت

هو حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو بن زيد بن منات بن عدى بن عمرو بن مالك بن النجار، وبنو عدي بن عمرو بن مالك بن النجار يسمون بني معالة، ومعالة أمه هى امرأة من القين– قبيلة عربية – وإليها كانوا ينسبون .

أدى حسان بن ثابت دوره الذى أنيط به من قبل الرسول ﷺ بكل جدارة واستحقاق ، وهو دور إعلامى تجلت فيه براعته فى مجال الإعلام فكان كلامه وشعره من أشد الوسائل تأثيراً فى العمل الإعلامى فى بداية الدعوة الإسلامية ،وكان حسان بن ثابت أهل لتلك المهمة ، فهو فارس الميدان لهذه المعركة مع شعراء قريش فلعب دوراً إعلامياً خطيراً ، وكان الصحيفة السيارة التى تحمل لواء الإسلام عالياً ، ونصب الحمم على أعدائه ، حتى أن الرسول كان كثيراً ما يطلب منه أن ينشده ، ويسمع منه ، فكان كلام حسان أشد من وقع النبل على المشركين( العمدة ، 1972م : 1 / 14)

وكان الرسول لا يخفي إعجابه بشعر حسان، ويثني عليه فى كل مناسبة، " وقد بلغ من إعجاب الرسول بشعره أنه كان يضع له المنبر فى المسجد ليقوم عليه، فينشد ما قاله من الشعر فى هجاء المشركين" ( العسقلانى ،1323 هـ : 2 / 8 )

### مدائح حسان الإعلامية :

لقد أدرك حسان أن الرسول جاء هادياً، ومبشراً، ونذيراً، ورآه أعظم هيبة وأرفع شأناً وأجل قدراً، وأبين إجلالاً، فقام بين يدي الرسول يعلن إيمانه بالله ورسوله، وبمن سبقه من الأنبياء والمرسليين، وذم المشركين وماكانوا يعبدون فقال في مدحه الإعلامي : ( الأصفهاني ، 1992م : 4 /158)

شَهِدتُ بِإِذنِ اللهِ أَنَّ مُحَمَّداً ... رَسولُ الَّذي فَوقَ السَماواتِ مِن عَل

وَأَنَّ أَبا يَحيى وَيَحيى كِلَيهِما ... لَهُ عَمَلٌ في دينِهِ مُتَقَبَّلُ

وَأَنَّ الَّتي بِالسُدِّ مِن بَطنِ نَخلَةٍ ... وَمَن دانَها فِلٌّ مِنَ الخَيرِ مَعزِلُ

وَأَنَّ الَّذي عادى اليَهودَ اِبنَ مَريَمَ ... رَسولٌ أَتى مِن عِندِ ذي العَرشِ مُرسَلُ

وَأَنَّ أَخا الأَحقافِ إِذ يَعذِلونَهُ ... يُجاهِدُ في ذاتِ الإِلَهِ وَيَعدِلُ

فقال النبي ﷺ " وأنا أشهد معك " فإذا مدح حسان الرسول الكريم أدار مديحه على المعاني الإسلامية وحدها ، فهو لم يبرز الرسول سيد من سادة أهل الجاهلية يعتز بنفسه ، وحسبه ، ومآثره، وإنما أبرزه فى صورة نبي كريم أرسله الله لهداية الناس فأضفى عليه من الصفات ما يلائم هذه الصورة فهو مبارك ميمون النقيبة ، ماجد ، عفيف الخليقة ،رؤوف بالناس ، وهذا ما نجده فى لوحته الإعلامية يجيب أبا سفيان بن الحارث قائلاً : ( النص ، 1965م : 176)

أَتَهجوهُ وَلَستَ لَهُ بِكُفءٍ ... فَشَرُّكُما لِخَيرِكُما الفِداءُ

هَجَوتَ مُبارَكاً بَرّاً حَنيفاً ... أَمينَ اللهِ شيمَتُهُ الوَفاءُ

ويلح على صفة النبوة والهداية، ويشيد بفضله على الأنصار وعلى المسلمين كافة فى إرشادهم إلى سبيل الهدى ، وإخراجهم من الظلمات إلى النور فيقول : ( ديوان حسان بن ثابت 1974 : 88)

داهُم بِهِ بَعدَ الضَلالَةِ رَبُّهُم ... وَأَرشَدَهُم مَن يَتبَعِ الحَقَّ يَرشُدِ

وَهَل يَستَوي ضُلّالُ قَومٍ تَسَفَّهوا ... عَمىً وَهُداةٌ يَهتَدونَ بِمُهتَدِ

لَقَد نَزَلَت مِنهُ عَلى أَهلِ يَثرِبٍ رِكابُ هُدىً حَلَّت عَلَيهِم بِأَسعَدِ
نَبِيٌّ يَرى ما لا يَرى الناسُ حَولَهُ وَيَتلو كِتابَ اللَهِ في كُلِّ مَشهَدِ
وَإِن قالَ في يَومٍ مَقالَةَ غائِبٍ فَتَصديقُهُ في اليَومِ أَو في ضُحى الغَدِ

ويقول أيضا : ( المصدر نفسه 1974م : ص78)

أَغَرُّ عَلَيْهِ لِلنُّبُوَّةِ خَاتَمٌ مِنَ اللَّهِ مَشْهُودٌ يَلُوحُ وَيُشْهَدُ
وضمَّ الإلهُ اسمَ النبيّ إلى اسمِهِ إذا قَالَ في الخَمْسِ المُؤذِّنُ أَشْهَدُ
وشقّ لهُ من اسمِهِ ليجلهُ فذو العرشِ محمودٌ وهذا محمدُ
نَبيٌّ أَتَانَا بَعْدَ يَأسٍ وَفَتْرَةٍ منَ الرسلِ والأوثانِ في الأرضِ تعبدُ
فَأَمْسَى سِرَاجاً مُسْتَنِيراً وَهَادِياً يَلُوحُ كما لاحَ الصّقِيلُ المُهَنَّدُ
وأنذرنا ناراً وبشرَ جنة وعلمنا الإسلامَ فاللهَ نحمدُ

كانت مدائح حسان تدور حول الصفات المستمدة من معانى الهداية والإرشاد والتقوى، لذلك اختار من الصور الإعلامية ما تلائم هذه المعالم فشبه الرسول بالسراج المضىء والبدر المنير، والشهاب المتوقد نحو قوله : ( نفسه / 128)

وافٍ وَماضٍ شِهابٌ يُستَضاءُ بِهِ بَدرٌ أَنارَ عَلى كُلِّ الأَماجيدِ
مُبارَكٌ كَضِياءِ البَدرِ صورَتُهُ ما قالَ كانَ قَضاءً غَيرَ مَردودِ

ويؤكد حسان فى مدائحه الإعلامية إيمانه بالله وتمسكه بدينه قائلاً:

وأنت إله الخلق ربي وخالقي بذلك ماعمّرت في الناس أشهد

والحق أن حسان عبر بكل صدق عما يدور فى خاطره، فهو لا يقصد التكسب من وراء مدحه؛ لأنه يدافع عن رسول الله والفئة المسلمة التى تعبد الله سبحانه وتعالى ، ويدافع عن كيان الدولة الإسلامية الناشئة، وهذا يؤكد دوره الإعلامي المهم فى هذه الفترة من خلال مدحه للرسول ﷺ ولأصحابه من المهاجرين والأنصار ، فمن جيد شعره الإعلامي قوله فى مدح بنى هاشم آل الرسول ﷺ : (نفسه / 98)

فَما زالَ في الإِسلامِ مِن آلِ هاشِمٍ دَعائِمُ عِزٍّ لا يَزولُ وَمَفخَرُ
هُمُ جَبَلُ الإِسلامِ وَالناسُ حَولَهُ رِضامٌ إِلى طَودٍ يَروقُ وَيَقهَرُ
بِهِم تُكشَفُ اللَأواءُ في كُلِّ مَأزِقٍ عَماسَ إِذا ما ضاقَ بِالقَومِ مَصدَرُ
هُمُ أَولِياءُ اللَهِ أَنزَلَ حُكمَهُ عَلَيهِم وَفيهِم وَالكِتابُ المُطَهَّرُ
بَهاليلُ مِنهُم جَعفَرٌ وَابنُ أُمِّهِ عَلِيٌّ وَمِنهُم أَحمَدُ المُتَخَيَّرُ
وَحَمزَةُ وَالعَبّاسُ مِنهُم وَمِنهُمُ عَقيلٌ وَماءُ العودِ مِن حَيثُ يُعْصَرُ

وفى هذا القول نجد الدليل على الروح الإسلامية السمحة التى تحلى بها حسان، وعلى عمق شعوره بعلو قدر الرسول وآله ، وهو إلى ذلك المدافع عن الدين الإسلامى ، والداعي في لوحاته الإعلامية إلى ترك عبادة الأصنام فى مثل قوله يخاطب المشركين : ( نفسه ، 284 – 285)

أَمّا قُرَيشٌ فَإِنّي غَيرُ تارِكِهِم حَتّى يُنيبوا مِنَ الغِيّاثِ لِلرَشَدِ
وَيَترُكوا اللاتَ وَالعِزّى بِمَعزِلَةٍ وَيَسجُدوا كُلُّهُم لِلخالِقِ الصَمَدِ
وَيَشهَدوا أَنَّ ما قالَ الرَسولُ لَهُم حَقٌّ وَيوفوا بِعَهدِ الواحِدِ الأَحَدِ

امتلك حسان بن ثابت لغة تعبيرية متميزة فى مخاطبته للناس، كما توجه في لوحاته الإعلامية إلى الذهن والعاطفة أوضح من خلالها أن لا مسالمة مع قريش حتى يفيئوا إلى دين الله ، ويدخلوا فى دين الله ، فحسان يتخذ من الشعر وسيلة إعلامية للدعوة إلى الدخول فى الدين الجديد ، وخطابه الشعري رسالة إعلامية تتكامل فيها عناصر الرسالة وتحمل في طياتها أفكاره المفهومة .

**فخـــــره الإعلامي :**

أصل المفاخرة هو التمدح بالخصال وادعاء العظم والشرف، والمفاخرات الكبرى هي التي رافقت شعر حسان الإعلامي في صراعه مع المشركين فقد وثقها حسان بقصائد خاصة وبناء خاص تميزت به عن غيرها، حيث إنها تمتاز بالاستهلال الاستعراضي الذي يحمل بصمات القصيدة الجاهلية وخصائصها الفنية .

كان فى الجاهلية يدافع عن قومه ، ولما جاء الإسلام أخذ يدافع عن الرسول والمسلمين ، وفخره الذاتي قليل بالقياس إلى فخره الجماعي ، والشخصية القبلية أظهر فى شعره من النزعه الذاتية ، وفخره الجماعي ينطق بعضه بلسان القبيلة ، وهو الأكثر وينطق بعضه بلسان الجماعة الإسلامية ، وزاد العبء الذى اطلع به حسان منذ الإسلام فى المنافحة عن قومه من جانب ، وعن المسلمين عامة من جانب آخر، فقد لون فخره الإعلامي بهذين اللونين ، ويبدو أن فخره بالجماعة الإسلامية يدور فى نطاق المعاني الإسلامية ، من الاعتصام بدين الله والمحاماة عنه ونصرة رسول الله ﷺ ، نحو قوله في لوحة إعلامية يفاخر المشركين ببلاء المسلمين من المهاجرين والأنصار يوم بدر حيث يقول :(النص ، 1965 : 162)

فينا الرَسولُ وَفينا الحَقُّ نَتبَعُهُ حَتّى المَماتِ وَنَصرٌ غَيرُ مَحدودِ
مُستَعصِمينَ بِحَبلٍ غَيرِ مُنجَذِمٍ مُستَحكِمٍ مِن حِبالِ اللَهِ مَمدودِ

ولكنه لا يلبث بعد ذلك أن يفتخر بقومه الأنصار ويتحدى بلسانهم قريش ومعداً قائلاً : (ديوان حسان بن ثابت ، 18)

وَقَالَ اللَّهُ: قَدْ أَرْسَلْتُ عَبْداً يقولُ الحقَّ إنْ نفعَ البلاءُ
شَهِدْتُ بِهِ، فَقُومُوا صَدِّقُوهُ! فقلتمْ: لا نقومُ ولا نشاءُ
وَقَالَ اللَّهُ: قَدْ يَسّرْتُ جُنْداً هُمُ الأنصارُ، عرضتها اللقاءُ
لنا في كلّ يومٍ منْ معدٍّ سِبابٌ أوْ قِتَالٌ ، أوْ هِجاءُ
فنحكمُ بالقوافي منْ هجانا ونضربُ حينَ تختلطُ الدماءُ

يمكن القول أن هذه الأبيات من أرقى أساليب البيان العربي القديم في الشكل والمضمون والأسلوب ، يختال فيها حسان ويبرز أفضل ما لديه من مهارات في منبر إعلامي مفتوح يستقبله الناس باهتمام ، لأهمية الحدث الذي قيلت فيه ، فقد عمل على تكرار تحدياته للمبارزة الشعرية .

وتتضمن مفاخرات حسان الإسلامية الفخر القبلي الذي لم يهمله في معظم أشعاره الإسلامية والتي يفتخر فيها بقومه الخزرج ، وبالأنصار من الأوس والخزرج معاً ، والجدير بالذكر أن فخر حسان مهم ومؤثر، ولم يعد يدور فى كنف القيم الجاهلية ، بل أخذ يستمد جذوره من ينابيع إسلامية تغذي معانيه ، وتوسع آفاقه ، فهو فى هذه الأبيات يبرز دوره الإعلامي في نصرة الرسول الكريم والدفاع عن دينه ، مهدداً كفار قريش إن لم يفسحوا لهم

المجال لأداء العمرة بحرب شديدة يعز الله فيها عباده المؤمنين ، ولم ينس أن يفخر بقومه الأنصار ويتحدى بلسانهم قريش وفى ذلك يقول : ( المصدر نفسه ، 109)

نصرنا وآوينا النبي محمدا على أنف راض من معد وراغم
بحي حريد أصله وثراؤه بجابية الجولان وسط الأعاجم
نصرناه لما حل وسط ديارنا بأسيافنا من كل باغ وظالم
جعلنا بنينا دونه وبناتنا وطبنا له نفسا بفيء المغانم
ونحن ضربنا الناس حتى تتابعوا على دينه بالمرهفات الصوارم
ونحن ولدنا من قريش عظيمها ولدنا نبي الخير من آل هاشم
بني دارم لا تفخروا إن فخركم يعود وبالا عند ذكر المكارم

وكان أكثر ما يبرزه حسان فى فخره الإعلامي ذكره إيواء الأنصار رسول الله ﷺ ونصرتهم إياه على أعدائه فى مثل قوله : ( نفسه ، 49)

نَصَرْنا وآوَيْنا وقوّمَ ضرْبُنا لهُ بالسيوفِ مَيْلَ مَن كان أميَلا

كما جسد لنا ذلك في قوله : ( نفسه ، 46)

نَصَرْنا بها خيْرَ البريَّة كلِّها إماماً، ووقّرْنا الكِتابَ المُنزَّلا

والحق أن الأنصار قاموا بدور عظيم فى نصرة الإسلام والمسلمين، فقد أبلوا بلاءً حسناً فى مجاهدة المشركين، لهذا كان حسان دائماً يزهو حين يذكر أن الله عز وجل آثر قومه على سواهم من قبائل العرب حين نصر الله بهم رسول الله وأعز جانبه، وأنزل الوحي بين أظهرهم يقول في رسالة إعلامية مؤثرة: ( نفسه ، 325)

اللهُ أَكرَمَنا بِنَصرِ نَبِيِّهِ وَبِنا أَقامَ دَعائِمَ الإِسلامِ
وَبِنا أَعَزَّ نَبِيَّهُ وَكِتابَهُ وَأَعَزَّنا بِالضَربِ وَالإِقدامِ
في كُلِّ مُعتَرَكٍ تُطيرُ سُيوفُنا فيهِ الجَماجِمَ عَن فِراخِ الهامِ
يَنتابُنا جِبريلُ في أَبياتِنا بِفَرائِضِ الإِسلامِ وَالأَحكامِ
يَتلو عَلَينا النورَ فيها مُحكَماً قِسماً لَعَمرُكَ لَيسَ كَالأَقسامِ
فَنَكونُ أَوَّلَ مُستَحِلِّ حَلالِهِ وَمُحَرِّمٍ لِلَّهِ كُلَّ حَرامِ
نَحنُ الخِيارُ مِنَ البَرِيَّةِ كُلِّها وَنِظامُها وَزِمامُ كُلِّ زِمامِ

وفخره هذا يفصح عن شعور دينى صادق يمتزج فى نفسه امتزاجاً وثيقاً بعاطفة الاعتزاز القبلي، ولعل هذا ما يتميز به فخر حسان الإعلامي فهو يصدر عن مؤثرين أساسيين هما : الشعور الديني ، والتعصب لقومه الذين نصروا رسول الله ودافعوا عنه ، ولا يغفل حسان أن يذكر الوقائع وسقوط الشهداء من الأنصار فى هذه الوقائع ، فراح يعدد أسماء الشهداء البارزين فهذه مادة غنية استغلها حسان استغلالاً حسناً في لوحاته الإعلامية ، وكأنها سبق صحفي استغله هذا الإعلامي البارز ، ومن حقه أن يفعل ذلك ، فهو يسجل الأحداث بصدق وينقل الخبر بأمانة ، ولا ننسى أنه شاعر الرسول ، والناطق الإعلامي باسمه فيقول : (نفسه ، 89)

وَكُنّا مَتى يَغزُ النَبِيُّ قَبيلَةً نَصِل حافَتَيهِ بِالقَنا وَالقَنابِلِ

وَيَومَ قُرَيشٍ إذ أَتَونا بِجَمعِهِم وَطِئنا العَدُوَّ وَطأَةَ المُتَثاقِلِ
وَفي أُحُدٍ يَومٌ لَهُم كانَ مُخزِياً نُطاعِنُهُم بِالسَمهَرِيّ الذَوابِلِ
وَيَومَ ثَقيفٍ إذ أَتَينا دِيارَهُم كَتائِبَ نَمشي حَولَها بِالمَناصِلِ

أكد هزيمة قريش الكبيرة في معاركها التي خاضتها ضد الإسلام والمسلمين ، وسقوط عدد كبير من زعمائها مع التركيز على المفاخرة بقوة المسلمين وقيادتهم .

ومن دواعى فخر حسان الإعلامي أن يكون أخوه (أوس) أحد من استشهد فى معارك الجهاد دفاعاً عن الإسلام:

وَمِنّا قَتيلُ الشِعبِ أَوسُ اِبنِ ثابِتٍ شَهيداً وَأَسنى الذِكرَ مِنهُ المَشاهِدُ (ديوان حسان بن ثابت ، 49)

يتضح لنا أن حسان يحمل رسالة إعلامية ناجحة قادرة أن تصل وأن تؤثر، ولها القدرة على تقديم الحدث من وجهة نظر شاهد عيان له القدرة على توصيل وإظهار قضيته ، ويؤكد لنا أن من رجال الأنصار البارزين الذين استشهدوا فى جهاد المشركين أيضا سعد بن معاذ أمين المسلمين، وحنظلة غسيل الملائكة فيقول:( المصدر نفسه ، 318)

وَمِنّا أَمينُ المُسلِمينَ حَياتَهُ وَمَن غَسَّلَتهُ مِن جَنابَتِهِ الرُسلُ

كان حسان بارعاً في مخاطبة جمهوره ونجح في إنتاج رسالة إعلامية فعالة، فهو يرصد المعارك ، ويصف التقاء المسلمين بالمشركين والقتال الذى يدور بينهم ، وكان يصور حلاوة نصر المسلمين وحسن بلائهم فى الدفاع عن عقيدتهم ، لذا من الله عليهم بالنصر .

ومن فخره الإعلامي بالجماعة الإسلامية أيضا، قوله فى قصيدته الهمزية يتوعد المشركين ويفخر بقوة المسلمين وجلادهم ، يوم فتح مكة : (نفسه ، 17 – 18)

عدمنا خيلنا إن لم تروها تثير النقع موعدها كداء
يبارين الأعنة مصعدات على أكتافها الأسل الظماء
تظل جيادنا متمطرات تلطمهن بالخمر النساء
فإما تعرضوا عنا اعتمرنا وكان الفتح وانكشف الغطاء
وإلا فاصبروا لجلاد يوم يعز الله فيه ما يشاء

كان فخر حسان أهم أدوات الحرب الإعلامية ، وأكثرها فعالية في خضم الصراع بين المسلمين ومخالفيهم ، واحتل شعره مكانة كبيرة في المشروع الإسلامي ، بل كان شريكاً في هذا الصراع ، حيث رافق الأحداث المهمة وتجلت رسالته الإعلامية في عنوانين مهمين هما: الانتصار للدعوة ، وحماية أعراض المسلمين.

وكان رسول الله ﷺ يتفاعل مع شعره بالتشجيع الدائم ، ويعطي الحصانة له .

**الهجاء والمناقضات الإعلامية :**

أما هجاؤه الإعلامي فهو ميدانه الذى يجول ويصول فيه، وعندما اختار الرسول حساناً لهجاء المشركين قبل راضياً، مغتبطاً مزهواً بلسانه الذى يفري الأديم ويفلق الصخر، فقد هجا شعراء المشركين الذين آذوا رسول الله والمسلمين بلسانهم ومنهم: أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، وعمرو بن العاص وعبد الله بن الزبعرى، وضرار ابن الخطاب، وهبيره بن أبي لهب، وهند بنت عتبة .( النص ، 1965م : 127)

ومن الطبيعى أن تكون المناقضات الإعلامية عقب الوقائع التى دارت رحاها بين المسلمين والمشركين وكانت باكورتها تلك التى قيلت بصدد أسر قريش سعد بن عبادة، يوم العقبة الثانية، ولم يكن حسان قد أسلم يوم إذ، وإنما غاظه صنيع قريش لأحد سادة قومه الخزرج، وافتخار ضرار بن الخطاب بهذا الأمر فى قوله:

تداركت سعدًا عنوة فأخذته وكان شفاء لو تداركت منذرا
ولو نلته طلت هناك جراحه وكان حرياً أن يهان ويهدرا

وأثناء احتدام المنافسة بينهما رد عليه حسان بأبيات إعلامية مؤثرة قائلاً: ( ابن هشام 2002م : 2/ 66)

لَستَ إِلى سعَدٍ وَلا المَرءِ مُنذِرٍ إِذا ما مَطايا القَومِ أَصبَحنَ ضُمَّرا
تَمَنّى ضِرارٌ وَالأَمانِيُّ جَمَّةٌ مُنى الجَهلِ أَن يَلقى بِضَجنانَ مُنذِرا
فَدَع عَنكَ سَعداً إِنَّ سَعداً وَمُنذِراً سَواءٌ إِذا شَدّا لِحَربِكَ مِئزَرا
أَتَفخَرُ بِالكَتّانِ لَمّا لَبِستَهُ وَقَد يَلبَسُ الأَنباطُ رَيطاً مُقَصَّرا
فَلا تَكُ كَالوَسنانِ يَحلُمُ أَنَّهُ بِقَريَةِ كِسرى أَو بِقَريَةِ قَيصَرا
وَلا تَكُ كَالثَكلى وَكانَت بِمَعزِلٍ عَنِ الثُكلِ لَو كانَ الفُؤادُ تَفَكَّرا
وَلا تَكُ كَالشاةِ الَّتي كانَ حَتفُها بِحَفرِ ذِراعَيها فَلَم تَرضَ مَحفَرا
وَلا تَكُ كَالغاوي فَأَقبَلَ نَحرَهُ وَلَم يَخشَهُ سَهماً مِنَ النَبلِ مُضمَرا

كان حسان يركز على الهجاء بالأنساب الذي يتوجه إلى القبائل والشخصيات العربية باستهداف الآباء والأمهات، إما بارتكاب الفاحشة، أو هجنة النسب بنكاح الإماء أو إدخال الأنساب في بعضها لأن مادة الهجاء من الطرف الآخر( الخصم )عنيفة جداً ، استخدمت العنف والفحش اللفظي والإقذاع والمس بالأعراض .

ولما كانت موقعة بدر فى السنة الثانية للهجرة أول الوقائع التى أثارت المناقضات الشعرية بين حسان وشعراء المشركين ، فقد كان وقع الهزيمة قاسياً على قريش أشد قسوة إذ قتل كثير من رجالها ، بينهم عدد من سادتها غير قليل ، فانفجرت تبكيهم وترثيهم أحر رثاء .

ولم يتركهم شعراء المسلمين يتجرعون غصص أحزانهم بل نقضوها ليزيدوهم غماً على غم، ومن ذلك رثاء ابن الزبعري لقتلاهم ، يقول : ( المصدر نفسه ، 2002 م : 2/ 262)

مَاذَا عَلَى بَدْرٍ وَمَاذَا حَوْلَهُ مِنْ فِتْيَةٍ بِيضِ الْوُجُوهِ كِرَامِ
تَرَكُوا نُبَيْهًا خَلْفَهُمْ وَمُنَبِّهًا وَابْنَيْ رَبِيعَةَ خَيْرِ خَصْمٍ فِئَامِ
وَالْحَارِثَ الْفَيّاضَ يَبْرُقُ وَجْهُهُ كَالْبَدْرِ جَلّى لَيْلَةَ الْإِظْلَامِ
وَالْعَاصِيَ بْنَ مُنَبِّهٍ ذَا مِرّةٍ رُمْحًا تَمِيمًا غَيْرَ ذِي أَوْصَامِ

تفاعل حسان مع الواقعة فأجابه بنقيضة إعلامية موجهة إلى الخصم، لتفكيك قواه، والتشكيك في إمكاناته وقناعاته حيث يقول : ( نفسه : 2/ 263)

ابْكِ بَكَتْ عَيْنَاكَ ثُمّ تَبَادَرَتْ بِدَمٍ تُعَلّ غُرُوبُهَا سَجّامِ
مَاذَا بَكَيْت بِهِ الّذِينَ تَتَابَعُوا هَلّا ذَكَرْت مَكَارِمَ الْأَقْوَامِ
وَذَكَرْت مِنّا مَاجِدًا ذَا هِمّةٍ سَمْحَ الْخَلَائِقِ صَادِقَ الْإِقْدَامِ
أَعْنِي النّبِيّ أَخَا الْمَكَارِمِ وَالنّدَى وَأَبَرّ مَنْ يُولِي عَلَى الْإِقْسَامِ
فَلِمِثْلِهِ وَلِمِثْلِ مَا يَدْعُو لَهُ كَانَ الْمُمَدّحَ ثُمّ غَيْرَ كَهَامِ

أراد حسان بهذه النقيضه أن يتشفى منه وممن يبكيهم وأن يزيده حسرة على حسرة، إذ يستنكر البكاء على هؤلاء الذين ألقوا بأنفسهم إلى التهلكة، فهو يذم ابن الزبعري، ويمدح رسول الله ﷺ بأسلوب إعلامي صادق، فيه رفع لشأن الرسول الكريم، وتحقير للكفر والكافرين .

كما تصدى للحارث بن هشام الذى فر يوم بدر، واستطاع حسان أن يلعب دوراً مهماً في عملية وصول رسالته الإعلامية، ويزرع بذرة الخلاف في جبهة الخصم فى قوله: (ديوان حسان بن ثابت ، 1974: 29 – 30)

تَرَكَ الْأَحِبّةَ أَنْ يُقَاتِلَ دُونَهُمْ ... وَنَجَا بِرَأْسِ طِمِرّةٍ وَلِجَامِ
وبنو أَبِيهِ وَرَهْطُهُ فِي مَعْرَكٍ ... نَصَرَ الْإِلَهُ بِهِ ذَوِي الْإِسْلَامِ
طَحَنَتْهُمْ وَاَللَّهُ يُنْفِذُ أَمْرَهُ ... حَرْبٌ يُشَبّ سَعِيرُهَا بِضِرَامِ
لَوْلَا الْإِلَهُ وَجَرْيُهَا لَتَرَكْتَهُ ... جَزَرَ السّبَاعِ وَدُسْنَهُ بِحَوَامِي

فهو يعيره بالفرار من المعركة، وتركه الأحبة يقتلون وفيهم أخوه أبو جهل، دون دفاع عنه، ثم يمضي فى لوحته الإعلامية مصوراً بطولة المسلمين فى الفتك بالمشركين تقتيلاً وأسرهم إذلالاً .

ولحسان نقيضة إعلامية أخرى يرد على كعب بن الأشرف الذى أذهله سماع خبر بدر، وجعل يحرض قريش على رسول الله وينشد الأشعار، ويبكى أصحاب القليب من قريش الذين أصيبوا ببدر، يقول فيها: (المصدر نفسه ، 426 – 427) .

أَبَكَى لِكَعْبٍ ثُمَّ عُلَّ بِعَبْرَة ... مِنْهُ وَعَاشَ مُجَدَّعًا لَا يَسْمَعُ؟
وَلَقَدْ رَأَيْتُ بِبَطْنِ بَدْرٍ مِنْهُمْ ... قَتْلَى تَسُحُّ لَهَا الْعُيُونُ وَتَدْمَعُ
فَابْكِي فَقَدْ أَبَكَيْتَ عَبْدًا رَاضِعًا ... شِبْهَ الْكُلَيْبِ إِلَى الْكُلَيْبَةِ يَتْبَعُ
وَلَقَدْ شَفَى الرَّحْمَنُ مِنَّا سَيِّدًا ... وَأَهَانَ قَوْمًا قَاتَلُوهُ وَصُرِّعُوا
وَنَجَا وَأُفْلِتَ مِنْهُمْ مَنْ قَلْبُهُ ... شَغَفٌ يَظَلُّ لِخَوْفِهِ يَتَصَدَّعُ

اكتشف حسان حقيقتهم، وامتلك خبرة غنية في الرد عليهم، وأصبح يؤكد شخصيته وقوة حضوره في عملية التعرض لهم من خلال رسائله الإعلامية المؤثرة، فهو يسخر من بكاء كعب وممن يبكى لبكائه، إمعاناً فى إذلالهم ،ويهجو كعباً بأنه عبد تابع لقريش ، ويشبهه بالكليب الذى يتبع أمه ليرضع منها ، ثم يتشفى منهم بما أراده الله لهم من هلاك وهوان لقتالهم رسوله الكريم .

ولعل شعور حسان بأنه فى موقف القوة جعله يكتفى بهذا الرد الموجز الذى شفى به واشتفى، وجمع كل عناصر النقض اللازمة لإفحام خصمه كعب، والنيل من خصومه القرشيين. ينظر، (رياض أحمد ، 1987م : 49)

ثم كانت وقعة أحد فى العام الثالث للهجرة ، وأصيب المسلمون يومئذ بمقتل عدد من المهاجرين والأنصار، منهم حمزه عم الرسول ، وحنظلة بن أبى عامر الأنصارى غسيل الملائكة ، ومصعب بن عمير ، وعمت البهجة المشركين وراح شعراؤهم يعبرون عن فرحتهم بهذا النصر ، وعن شماتتهم بهزيمة المسلمين ، وقد رأوا فى انتصارهم ثأرا لهزيمتهم يوم بدر، فتصدى لهم حسان ، فراح يكيل لهم الصاع صاعين ، وينقض قصائدهم الواحدة تلو الأخرى بأسلوب إعلامي ناجح ، عندما قال أبو سفيان قصيدته التى فخر فيها ببلائه فى ذلك اليوم ، وبثأر قريش لهزيمتها يوم بدر حيث يقول فى أحد أبياتها (ابن هشام ، 2002م : 2 / 75)

وَلَوْ أَنّنِي لَمْ أَشْفِ نَفْسِي مِنْهُمْ ... لَكَانَتْ شَجًا فِي الْقَلْبِ ذَاتَ نُدُوبِ

فاستطاع حسان الرد عليه بما هو ملائم بشكل خلاق ومبدع بأبيات ينقض بها قصيدته ويجيبه فيها على فخره بقتل حمزه بتعداد من قتله المسلمون يوم بدر من سرات المشركين إذ يقول: (ديوان حسان بن ثابت ، 446)

ذَكَرْتَ الْقُرُومَ الصّيْدَ مِنْ آلِ هَاشِمٍ ... وَلَسْتَ لِزُورٍ قُلْتَهُ بِمُصِيبِ

أَتَعْجَبُ أَنْ أَقَصَدْت حَمْزَةَ مِنْهُمْ نَجِيبًا وَقَدْ سَمّيْتَهُ بِنَجِيبِ
أَلَمْ يَقْتُلُوا عَمْرًا وَعُتْبَة وَابْنَهُ وَشَيْبَةَ وَالْحَجّاجَ وَابْنَ حَبِيبِ
غَدَاةَ دَعَا الْعَاصِي عَلِيّا فَرَاعَهُ بِضَرْبَةِ عَضْبٍ بَلّهُ بِخَضِيبِ

ومع إيجاز حسان فى رده في لوحته الإعلامية، فإنه أصاب موضع الداء الذى يسقم أبا سفيان وغيره من قريش إذ يذكره بهزيمتهم يوم بدر وكثرة قتلاهم .

واستمد شعراء المشركين من انتصارهم فى أحد ذخيرة من التفاخر والتباهي، من ذلك قصيدة هبيرة بن أبى وهب المخزومي التى يقول فيها :( ابن هشام ، 2002م : 3 /65 )

سقنا كنانة من أطراف ذي يمن عرض البلاد على ما كان يزجيها
قالت كنانة أنّى تذهبون بنا قلنا النخيل فأمّوها ومن فيها
نحن الفوارس يوم الجر من أُحد هابت معد فقلنا نحن نأتيها

فأجابه حسان بعد تصنيف مقولات خصمه تصنيفاً واضحاً ودقيقاً بأبيات خمسة كعنصر قوة ضد الخصم وينقض قوله، ويقلب معانيه التى افتخر بها ويفقده الحجة والبرهان، فيرسم صورة إعلامية معبرة يقول فيها : ( المصدر نفسه ، 2002م : 3 / 166 )

سقتم كنانة جهلا من سفاهتكم إلى الرسول فجند الله مخزيها
أوردتموها حياض الموت ضاحية فالنار موعدها والقتل لاقيها
جمعتموهم أحابيشا بلا حسب أئمة الكفر غرتكم طواغيها
ألا اعتبرتم بخيل الله إذ قتلت أهل القليب ومن ألقينه فيها
كم من أسير فككناه بلا ثمن وجز ناصية كنا مواليها

إنه يسفه ما يفتخر به هبيرة من تجميع كنانة ، إلى عمل دال على الجهالة والسفاهة من طواغيت الكفر، لأنهم قصدوا به حرب الرسول ﷺ وأنهم لابد أن يلاقوا الخزي والعار والقتل على يد جنود الله المؤمنين ، ويصيروا إلى عذابه فى نار جهنم التى وعدهم بها ، وبهذا يشتم من عقيدته الإسلامية معاني مناقضته ويصف بأسلوب إعلامي ساخر تهكمه من وصف جموعهم بأنها جموع آحابيش مكة ، الذين يفتقدون أصالة الانتماء القبلي ، فلا معنى لأن يفخر بهم فخره الجاهلي هذا ، ثم يذكره بقتلاهم فى بدر الذين ألقوا فى القليب ، وبأسراهم فى أيدى المسلمين ، لعلهم يعتبرون مما فعل الله بهم .

ولعل أعنف المناقضات الشعرية التى دارت بين المسلمين والمشركين تلك النقيضة التى اشتهرت لابن الزبعرى فى يوم أحد التى يبدؤها بقوله : ( نفسه ، 2002م : 3 / 69)

يا غرابَ البينِ أسمعتَ فقلْ إنما تنطقُ شيئاً قد فعلْ
إنّ للخَيرِ وللشّرّ مَدىً وكلا ذلكَ وجهٌ وقبلْ

فهو يبدأ بمقدمة تتلاءم مع الحدث المشؤوم، بذكر غراب البين الذى يتطير منه العرب ، وكأنما يريد أن ينعى قتلى المسلمين شامتاً بهم ، فهو يوجه كلامه مباشرة إلى حسان ، ويدعوه لينظر إلى كثرة القتلى من المسلمين ، ويقول فى ختامها( نفسه 3 /69)

ليْتَ أشْياخي ببَدْرٍ شَهِدُوا جزعَ الخزرجِ منْ وقعِ الأسلْ

كان أمام حسان مهمة عسيرة في مواجهة ابن الزبعري هذه المرة بسبب انتصارهم العسكري، فكان عليه التقليل من وقع الهزيمة بتكثير الفضائح التي وقعت فيها قريش أثناء معركتها في أحد، وبالتذكير بهزيمتها في بدر فأجابه حسان وتصدى له بنقيضة إعلامية حاول فيها أن يهدر قوله، وأن يطفىء لهيب تشفيه موازناً فعالهم بفعال المسلمين فيقول في أبياته الإعلامية المعبرة : (ديوان حسان بن ثابت ، 1974: 67 )

ذَهَبْتْ يَا بْنَ الزِّبَعْرَى وَقْعَةٌ كَانَ مِنَّا الْفَضْلُ فِيهَا لَوْ عَدَلْ
وَلَقَدْ نِلْتُمْ وَنِلْنَا مِنْكُمْ وَكَذَاكَ الْحَرْبُ أَحْيَانًا دُوَلْ
إِذْ شَدَدْنَا شَدَّةً صَادِقَةً فَأَجَأْنَاكُمْ إِلَى سَفْحِ الْجَبَلْ
إِذْ تُوَلُّونَ عَلَى أَعْقَابِكُمْ هُرَّبًا فِي الشِّعْبِ أَشْبَاهَ الرَّسَلْ

فهو يذكره بأن الغلبة فى هذه المعركة لم تكن خالصة لهم ، وإنما كانت متداولة بين الفريقين ، إذ نال كل فريق من الآخر ، ثم يذكر وقعة بدر ، ويشيد بما أصابه المسلمون فيها من ظفر مبين على مشركي قريش بفضل تأييد الله سبحانه وتعالى وملائكته لهم ، وفى ذلك دعوة إعلامية صريحة للدخول فى الإسلام فيقول:( المصدر نفسه ،67 – 68)

وَعَلَونا يَومَ بَدرٍ بِالتُقى طاعَةَ اللهِ وَتَصديقَ الرُسُل
وَتَرَكنا في قُرَيشٍ عَورَةً يَومَ بَدرٍ وَأَحاديثَ مَثَل
وَرَسولُ اللهِ حَقّاً شاهِدٌ يَومَ بَدرٍ وَالتَنابيلُ الهُبَل
وَتَرَكنا مِن قُرَيشٍ جَمعَهُم مِثلَ ما جُمِّعَ في الخِصبِ الهَمَل
وَقَتَلنا مِنكُمُ أَهلَ اللِوا إِذ لَقيناكُم كَأَنّا أُسدُ طَلّ
فَقَتَلنا كُلَّ رَأسٍ مِنهُمُ وَقَتَلنا كُلَّ جَحجاحٍ رَفِل
كَم قَتَلنا مِن كَريمٍ سَيِّدٍ ماجِدِ الجَدَّينِ مِقدامٍ بَطَل

ومن المناقضات الإعلامية التى دارت بين حسان وأمية بن خلف هذه الأبيات، فقد هجا أمية حسان بأبيات ثلاثة عيره فيها بأن أباه كان قيناً فقال : ( نفسه ، 154 )

ألا من مُبْلِغٌ حَسّانَ عَنّي مغلغلةً تدبُّ إلى عكاظِ
أَلَيْسَ أبوكَ فِينَا كانَ قَيْناً لدى القَيْناتِ، فَسْلاً في الحِفاظِ
يمَانِيّاً يَظَلُّ يَشُدُّ كِيراً وينفُخُ دَائِباً لهَبَ الشوُّاظِ

فأجابه حسان بلوحة إعلامية مهدداً : ( نفسه ، 153)

أتَاني عَنْ أُمَيّةَ ذُرو قَوْلٍ وَمَا هُوَ بالمَغِيبِ بِذِي حِفَاظِ
سأنشرُ إنْ بقيتُ لكم كلاماً ينشرُ في المجامعِ منْ عكاظِ
قوافيَ كالسلامِ، إذا استمرتْ منَ الصمّ المعجرفةِ الغلاظِ
تغضُّ الطرفَ أنْ ألقاكَ دوني وَتَرْمي حِينَ أُدْبِرُ بِاللِّحَاظِ

وقال في هذه الأبيات الإعلامية يهجو أبا سفيان بن الحارث يوم فتح مكة :( ابن هشام ، 2002م : 4 / 39)

أَلا أَبلِغ أَبا سُفيانَ عَنّي فَأَنتَ مُجَوَّفٌ نَخِبٌ هَواءُ

هَجَوتَ مُحَمَّداً فَأَجَبتُ عَنهُ وَعِندَ اللَهِ في ذاكَ الجَزاءُ
أَتَهجوهُ وَلَستَ لَهُ بِكُفءٍ فَشَرُّكُما لِخَيرِكُما الفِداءُ
هَجَوتَ مُبارَكاً بَرّاً حَنيفاً أَمينَ اللَهِ شيمَتُهُ الوَفاءُ
فَمَن يَهجو رَسولَ اللَهِ مِنكُم وَيَمدَحُهُ وَيَنصُرُهُ سَواءُ

ذم حسان أبا سفيان ووصفه بأنه جبان ضعيف ، وعيره بما أصابه من ذل بسيوفهم يوم بدر، فهو يريد أن ينال من قريش بالتهديد وإظهارهم فى موقف الضعيف ، وان ينال من أبى سفيان الذى هجا الرسول ، ومن البطن التى ينتمي إليها وهى بطن عبد الدار إحدى بطون قريش التى كان لها لواء الحرب ، وقد آل هذا اللواء إلى عمره بنت علقمه الحارثية ، فكان ذلك مثلباً من مثالب بني عبد الدار ، استطاع حسان أن يوظفه توظيفا إعلاميا نال به من أبى سفيان وعبد الدار وقريش والجدير بالذكر أن حسان بن ثابت كان يرمى القرشيين بسهامه بحذر دون أن يصيب رهط الرسول ﷺ أو من يلوذ به من أصحابه ، وربما ترفق ببعض من تعرض له بالهجاء منهم رعاية لرسول الله وصحبه .

لقد حظي حسان بمكانة مرموقة عند الرسول ﷺ لمفاخرة الوفود كما ندبه لهجاء المشركين ، وكان الرسول يرسل فى طلبه فى أى لحظة وكأنه جندي ، مايفرغ من أمر إلا لأمر آخر .

وكان حسان يحسن الأدب مع الرسول، فقد قدم على رسول الله ﷺ نفر من مزينه ، منهم خزاعى بن عبد نهم فبايعه على قومه مزينة ، ثم إن خزاعاً خرج إلى قومه فلم يجدهم كما ظن ، فأقام فدعا رسول الله ﷺ حسان بن ثابت ، فقال له : اذكر خزاعياً ولا تهجوه ، فقال حسان في هذه الأبيات الإعلامية : ( ديوان حسان بن ثابت ، 349 )

أَلا أَبلِغ خُزاعِيّاً رَسولاً فَإِنَّ الغَدرَ يَنقُضُهُ الوَلاءُ
وَإِنكَ خَيرُ عُثمانَ بنِ عَمروٍ وَأَسناهُم إِذا ذُكِرَ السَناءُ
وَبايَعتَ الرَسولَ وَكانَ خَيراً إِلى خَيرٍ وَأَدّاكَ الثَراءُ
فَما يَغلِبكَ أَو لا تَستَطِعهُ مِنَ الأَشياءِ لا يَغلِب عِداءُ

فقام خزاعي فقال: يا قوم، لقد خصكم شاعر الرجل فأنشدكم الله، قالوا فإنا لا ننبو عليك وأسلموا، فوفدوا على النبي فدفع الرسول لواء مزينة يوم الفتح لخزاعى، وكانوا يومئذ ألف رجل .

وفي ذلك دلالة على حسن تأدبه وترفقه فى الوصول إلى غرضه، وكان حسان أثيراً عند الرسول يقدمه على الشعراء، وينبهه لكل أمر خطير، ويفتقده إذا غاب ويصطحبه إذا سافر، كان النبي ليلة على سفر فقال: أين حسان؟ فقال حسان: لبيك يا رسول الله وسعديك، قال: احدو فجعل ينشد ويصغي إليه النبي ﷺ ويستمع ، فما زال يستمع إليه وهو سائق راحلته حتى كان رأس الراحلة يمس الورك حتى فرغ من نشيده ، فقال النبي ﷺ : " لهذا أشد عليهم من وقع النبل " ينظر،( درويش ، 1969م : 203)

وقد تبوأ حسان منصب شاعر الرسول ، وقد وقف شعره على المنافحة عنه ، ومصاولة أعدائه وأعداء المسلمين ،والرد على أهاجي المشركين ، وتسجيل ما حدث فى عهد الرسول من غزوات ووقائع ، ومفاخرة شعراء وفود القبائل فكان الرسول عليه السلام يستعين بشاعره حسان للرد عليهم ومفاخرتهم ، وكانت براعة حسان الشعرية فى هذه المقامات مدعاة لاعتناق بعض القبائل الإسلام ، فحين قدم وفد تميم على الرسول فى السنة التاسعة للهجرة ليفاخروه ، وفيهم ساداتهم البارزون ، ونخبة من خطبائهم وشعرائهم أمثال الأقرع بن حابس ، والزبرقان بن بدر ، وعطارد

بن حاجب ، وقيس بن عاصم ، بعث الرسول إلى ثابت بن قيس بن شماس ، وإلى حسان بن ثابت ، فرد الأول على خطيب تميم ، ثم قام حسان فنقض قصيدة الزبرقان بن بدر بلوحة إعلامية مؤثرة : ( ديوان حسان بن ثابت ، 102)

إِنَّ الذَوائِبَ مِن فِهرٍ وَإِخوَتَهُم ... قَد بَيَّنوا سُنَّةً لِلناسِ تُتَّبَعُ

يَرضى بِها كُلُّ مَن كانَت سَريرَتُهُ ... تَقوى الإِلَهِ وَبِالأَمرِ الَّذي شَرَعوا

قَومٌ إِذا حارَبوا ضَروا عَدُوَّهُمُ ... أَو حاوَلوا النَفعَ في أَشياعِهِم نَفَعوا

سَجِيَّةٌ تِلكَ مِنهُم غَيرُ مُحدَثَةٍ ... إِنَّ الخَلائِقَ حَقّاً شَرُّها البِدَعُ

لا يَرقَعُ الناسُ ما أَوهَت أَكُفُّهُمُ ... عِندَ الدِفاعِ وَلا يوهونَ ما رَقَعوا

إِن كانَ في الناسِ سَبّاقونَ بَعدَهُمُ ... فَكُلُّ سَبقٍ لِأَدنى سَبقِهِم تَبَعُ

أَعِفَّةٌ ذُكِرَت في الوَحيِ عِفَّتُهُم ... لا يَطمَعونَ وَلا يُرديهِمُ الطَمَعُ

أَكرِم بِقَومٍ رَسولُ اللَهِ قائِدُهُم ... إِذا تَفَرَّقَتِ الأَهواءُ وَالشِيَعُ

فلما فرغوا من التقاول والتفاخر قام الأقرع بن حابس فقال : والله إن هذا الرجل لمؤتى له ! والله لشاعره أشعر من شاعرنا، ولخطيبه أخطب من خطيبنا، ولأصواتهم أرفع من أصواتنا ! ثم أسلموا وأقاموا عند النبي ﷺ يتعلمون القرآن ويتفقهون فى الدين.( الأصفهاني ، 1992م : 4 / 156)

ويبدو أن حسان قد أجاد فى مديحه للرسول، ولأبناء فهر، وقد أدى دوره الإعلامى على خير وجه حين جعل معانيه تدور فى إطار المعاني الإسلامية، فهو مع غيره من الشعراء اختطوا للناس بفضل الرسول الكريم نهجاً جديداً يتبعونه ويسير المؤمنون فى هديه، وهم الذين ساروا تحت لواء نبيهم يقاتلون المشركين حتى دانوا لهم، وحسبهم شرفًا أنهم أحباب رسول الله الأوفياء له .

كما كان شعر حسان أحد أهم الأدوات الإعلامية فقد طور لغة الأدب والشعر من الاتجاه اللغوي إلى الاتجاه الإعلامي، فأضحت لغة الشعر بفضله لغة إعلامية .

وهذا الشعر الذى جاء القرآن بمدح شعرائه الذين انتصروا للحق فسموا بإنسانيتهم وهو الذى عمل الرسول جاهداً على تشجيعه لإيجاد قوة إعلامية تذيع انتصارات الإسلام بين العرب الذين يأسرهم الشعر وتهزهم قصائد الشعراء.

## المبحث الثانى

## الخطاب الإعلامى في شعر كعب بن مالك

هو كعب بن مالك بن أبي كعب، واسم أبي كعب عمرو بن القيم بن كعب بن سواد وقيل: القيم بن سواد بن مازن بن الأزد بن الغوث .

وكان من شعراء أصحاب رسول الله ﷺ المعدودين، وأبوه مالك بن أبي كعب ابن القيم شاعر، وله فى حروب الأوس والخزرج التى كانت بينهم قبل الإسلام آثار وذكر.(الأصفهاني ، 1992م : 16 / 240 )

ولكعب بن مالك أصل عريق، وفرع طويل فى الشعر ، ابنه عبد الرحمن شاعر ، وابن أمه بشير بن عبد الرحمن شاعر ، وعمر كعب بن مالك وتوفى سنة 50 هجرية – 670 م وهو ابن سبع وسبعون(الزركلي ، 5 / 228)

**دوره فى الإعلام الحربي :**

معلوم أن حسان بن ثابت بلغ منزلة عالية فى مجال الشعر فقد لعب دوراً إعلامياً خطيراً فى بداية الدعوة الإسلامية فهو شاعر الرسول ، وهذا لا يقلل من شأن كعب بن مالك الذى أدى دوره فى الإعلام الحربي على أكمل وجه ، كان يخوض المعارك، ويصورها ويرصد نتائجها ، ففى معركة أحد جعل من نفسه درعا حصينا الرسول ﷺ من سهام المشركين ، فلبس لأمة النبي ، ولبس النبي لأمته ، وقاتل فى ذلك قتالاً شديدا حتى جرح سبعة عشر جرحاً ، وقد شهد له الرسول حينما خاطبه قائلاً " أنت تحسن صفة الحرب . ينظر،( ابن عبد البر، 1992م 3 / 288) كان رسول الله ﷺ يحث كعباً على الإنشاد ، قال ابن سيرين " وقف رسول الله بباب كعب بن مالك ، فخرج فقال له رسول الله : إيه ، فأنشده ، ثم قال : إيه فأنشده ، ثم قال : إيه فأنشده " ثلاث مرات " فقال رسول الله : لهذا أشد عليهم من وقع النبل "( الأصفهانى ، 1992م : 16 / 247) ، وهذا يعنى أن كعبا استحق منزلة أهلته لأن يكون من طراز الشعراء الأوائل فى تاريخ الرسالة لما أبدوه من دور فى الذود عن الرسالة ، والدفاع عن مبادئها ، فهو أحد شعراء رسول الله ﷺ الذين كانوا يردون الأذى عنه وكان مجوداً مطبوعاً (ابن عبد البر، 1992م : 3 /287) وكان شعره سلاحاً موجهاً إلى كفار قريش ، فقد سأل كعب بن مالك الرسول الكريم قائلا : يا رسول الله ماذا ترى فى الشعر ؟ فقال رسول الله: المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه ، قال أبو عمرو قال رسول الله لكعب بن مالك : أترى الله عز وجل شكر لك قولك:

زعمت سخينة أن ستغلب ربها  وليغلبن مغالب الغلاب

وهذه رواية محمد بن سلام وفى رواية ابن هشام قال: كما قال كعب بن مالك :

جاءت سخينة كى تغالب ربها  فليغلبن مغالب الغلاب

قال رسول الله : لقد شكرك الله يا كعب على قولك هذا ، وجاء فى رواية أخرى بعد سؤال كعب بن مالك: قال رسول الله : " المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه والذى نفسى بيده لكأن ما ترمونهم به نضح النبل " ( المصدر نفسه ، 1992 :1 / 234) . فقد أحال رسول الله ﷺ الشعر القبلي إلى شعر إسلامي تتمثل فيه المعاني الإسلامية ، ظهر ذلك حين سمع الرسول كعب بن مالك يقول :

ألا هل أتى غسان عنا ودونهم  من الأرض خرق سيره متتعتع

مجالدنا عن جذمنا كل فخمة  مدرَّبة فيها القوانس تلمع

فكلمة جذمنا تعكس روحًا قبلية أحس بها الرسول ﷺ فوجهه قائلًا : لا تقل جذمنا وقل عن ديننا فكان كعب يقرأ ذلك ويفخر قائلاً : " ما أعان رسول الله ﷺ أحداً فى شعره غيري "( ابن هشام ،2002 : 2 /133)

**الحرب الإعلامية بينه وبين المشركين :**

كانت الحرب الكلامية بين كعب بن مالك وضرار بن الخطاب شاعر الكفار سبيلاً لأن يدافع عن الدعوة الإسلامية إعلامياً فقد عارضه بقصيدة سيطرت عليها الروح الإسلامية مبتعداً عن الروح القبيلية فى شعره ضارباً صفحاً عن الفخر بها فى مواجهة ضرار سالكاً مسلكاً جديداً فى المعارضة مبتدئاً بروح إسلامية أصيلة تترجم عن إيمان عميق بالله وثقة مطلقة فى نصره فيقول: ( المصدر نفسه ، 2002 : 3 / 14)

عجبت لأمر الله والله قادر — على ما أراد ، ليس لله قاهر

استفتاح اسلامى يظهر عاطفة إسلامية قوية:

قضى يوم بدر أن نلاقيَ معشرا — بغوا وسبيل البغي بالناس جائر

وقد حشدوا واستنفروا من يليهم — من الناس حتى جمعهم متكاثر

وسارت إلينا لا تحاول غيرنا — بأجمعها كعب جميعاً وعامر

وفينا رسول الله والأوس حوله — له معقل منهم عزيز وناصر

سيطرت هذه الروح الإسلامية على شعر كعب تكاد تكون طابعًا فيه، فهو فى قصيدة أخرى يتوعد أبا سفيان وينظر بنور الله فيرى مكة وقد استسلمت ودخلها الرسول فاتحاً والإسلام منتشراً فيقول فى هذه اللوحة الإعلامية المؤثرة: (نفسه ، 2002 : 3 ص 26)

فلا تعجل أبا سفيان وارقب — جياد الخيل تطلع من كداء

بنصر الله روح القدس فيها — وميكال ، فيا طيب الملاء

تبرز هذه الأبيات عاطفة كعب الإسلامية وعقيدته الدينية فكان شعره تعبيراً أميناً لدعوة الإسلام، وترقية النفوس وتوجيهها، وأضحى دوره الإعلامي يتمثل الله جل جلاله فى كل شيء فتأكدت المعاني الإسلامية ، وانتشرت الدعوة الإسلامية واتجه العرب إلى الإنسانية الرشيدة التى تؤمن بالله بدلا من الصنم ، وتتجه إليه بدلا من القبيلة وتقاتل فى سبيله لا من أجل المغنم ، وتعمل لخير الإنسان لا لشقاء الإنسان .

تجلت العاطفة الدينية فى شعر كعب الإعلامى فى غزوة أحد فى صورة التهديد لقريش، وفى أسلوب يترجم عن قوة الإيمان وصدق الرسول فى قوله : (ابن هشام، 2002 : 3 / 170)

سائل قريشا غداة السفح من أحد — ماذا لقينا وما لاقوا من الهرب

كنا الأسود وكانوا النمر إذ زحفوا — ما إن نراقب من آل ولا نسب

فينا الرسول شهاب ثم يتبعه — نور مضيء له فضل على الشهب

الحق منطقه والعدل سيرته — فمن يجبه إليه ينج من تبب

بدا لنا فاتبعناه نصدقه — وكذبوه فكنا أسعد العرب

تكشف هذه الأبيات روح كعب الإسلامية متجلية فى تصوير معركة أحد ومكانها ودور الأوس والخزرج فيها الذين آمنوا بالرسول وصدقوه ، فكانت السعادة لهم والتقوا بالمشركين فما وهنوا ولا رجعوا حتى كتب الله للمسلمين

النصر، فقد سيطرت العقيدة الإسلامية على روح كعب فى شعره يقول فى لوحة إعلامية أخرى : (المصدر نفسه ، 3 / 155)

ويوم بدر لقيناكم لنا مدد فيه مع النصر ميكال وجبريل
إن تقتلونا فدين الحق فطرتنا والقتل في الحق عند الله تفضيل
وإن تروا أمرنا في رأيكم سفها فرأي من خالف الإسلام تضليل

فقد ظهرت المعاني الإسلامية والعاطفة الدينية الجياشة، ووجدان ثائر تعكسه عقيدة كعب الدينية، وجاءت التضحية فى سبيل هذه العقيدة بالنفس كما ورد فى الأبيات السابقة .

وهكذا أدى شعر كعب الإعلامى إلى توضيح صدق المسلمين وإظهار عقيدتهم، داعيا إلى القوة متمثلا فى كل ذلك الإسلام " ألفاظاً وأساليب ومعاني فكان هذا الشعر بالإضافة إلى دوره فى المعركة تعبيراً لأثر الإسلام فى نفوس المسلمين، وتوجيهها إلى أن يلتزموا بتعاليمه وحافزاً للكافرين إلى أن يفتحوا أعينهم عليه "( إبراهيم ،1971: 325)

وهكذا استحالت حرب السنان ومعركة السيوف إلى حرب اللسان ومعركة الكلام ، عمل فيها القرآن الكريم عمل السيوف وأدى الشعر فيها دوراً إعلامياً ، فتأكدت المعاني الدينية وشاعت العقيدة الإسلامية والتف الشعراء حول رسول الله ﷺ يعكسون حبهم له ، وتصديقهم إياه ويمدحون الذين نصروه ويذمون الذين اعترضوا سبيله ، ويتخذون من الأحداث الماضية للرسول سبيلاً لإظهار شعورهم ، وجميل عواطفهم ، كما صور ذلك كعب بن مالك وهو يرد على أبى سفيان فى صورة التهكم بجيشه بأسلوب إعلامي لاذع ينم عن جبنه وفراره : ( ديوان كعب بن مالك 1966 م : 251)

جاءوا بجمع لو قيس مبركه ما كان إلا كمفحص الدئل
عار من النصر والثراء ومن أبطال أهل البطحاء والأسل

كما صور القرآن الكريم انسحاب المنافقين قبل معركة أحد، ووضح أساليبهم فى التثبيط عن الجهاد وكشف سوء نواياهم للمسلمين المخلصين الذين عزموا على الجهاد، ويقدر عددهم بسبعمائة فى مواجهة ثلاثة آلاف، ويبرز هذه القوة العددية للمسلمين والكفار شعر كعب بن مالك الإعلامي فى قوله : (ابن هشام ، 2002 : 3 / 140)

فَجِئْنَا إِلَى مَوْجٍ مِنْ الْبَحْرِ وَسْطَهُ أَحَابِيشُ مِنْهُمْ حَاسِرٌ وَمُقَنَّعُ
ثَلَاثَةُ آلَافٍ وَنَحْنُ نَصِيَّةٌ ثَلَاثُ مِئِينٍ إِنْ كَثُرْنَا وَأَرْبَعُ

كما صور القرآن الكريم منزلة الشهداء فى سبيل الله { وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ } سورة آل عمران الآية 169 تأثر كعب بن مالك بهذه السورة فأظهر حب الرسول وطاعته ، لأنه لا ينطق عن الهوى بأساليب تزخر بالألفاظ والمعاني المتأثرة بالقرآن الكريم، وتترجم عن عقيدة كعب وروحه الإسلامية وتصور بالإضافة إلى ذلك دعوة المسلمين إلى الجهاد لملاقاة الكفار فكان النصر حليفهم .

كما كان للشعر فى هذه الحروب دور السيف فى المعارك العسكرية فى قتل نفوس الأعداء وألقى الرعب في قلوبهم ، وأصبح الفخر بالجهاد بدلا من القبيلة ، والمدح بالانتصار لله لا من أجل الفرد والقبيلة .

وهكذا أدى الشعر دوره الإعلامى فى نشر الدعوة الإسلامية فكرياً على لسان شعراء التوحيد، وعقلياً بتحويل العقلية العربية إلى عقلية إسلامية بتوجيه الرسول ﷺ لرسالة الشاعر والشعراء .

كما اتجه الشعر بالعرب تدريجياً نحو الإنسانية الرشيدة يمد الشعراء بمعين لا ينضب من الفكر والألفاظ والأساليب التى تظهر فى أقوالهم وأشعارهم الإعلامية .

حارب كعب أعداء الله بلسانه، ودافع عن رسول الله بشعره كما جاهد بسيفه، وكان شعره سبباً فى إسلام قبيلة دوس عندما بلغها قوله :

قَضَيْنَا مِنْ تِهَامَةَ كُلَّ رَيْبٍ وخيبَر ثمَّ أَجْمَمْنَا السّيُوفا
نُخَيِّرُهَا وَلَوْ نَطَقَتْ لَقَالَتْ قواطِعُهُنَّ دوساً أو ثَقِيفَا

**هجــاؤه الإعلامي :**

فجع رسول الله ﷺ فى سرية الرجيع ، كما رزىء فى حادث بئر معونة فى نفس السنة لما غدر بهم الكفار، فانبرى حسان بن ثابت فى تصوير هذا الحادث الأليم وتعداد شهدائه فى أسلوب ينم عن الأسى ويبعث على الحسرة ويحرك ملكة الشعر لدى كعب بن مالك فهجا الغادرين فى صورة ساخرة (ابن هشام ،2002: 1/ 198)

تَرَكْتُمْ جَارَكُمْ لِبَنِي سُلَيْمٍ مَخَافَةَ حَرْبِهِمْ عَجْزًا وَهُونَا
فَلَوْ حَبْلًا تَنَاوَلَ مِنْ عُقَيْلٍ لَمَدّ بِحَبْلِهَا حَبْلًا مَتِينَا

فعيرهم بالجبن وذمهم بالغدر فى شخص أبى براء كما ذمهم فى قصيدة أخرى قائلاً : ( ديوان كعب 1966، : 170 – 171)

لقد طارت شعاعا كل وجه خفارة ما أجار أبو براء
فمثل مسهب وبني أبيه بجنب الرده من كنفي سواء
بني أم البنين أما سمعتم دعاء المستغيث مَعَ المساء!
وتنويه الصريخ بلى ولكن عرفتم أنه صدق اللقاء
فما صفرت عياب بني كلاب ولا القرطاء من ذم الوفاء
أعامر عامر السوءات قدما فلا بالعقل فزت ولا السناء
أأخفرت النبي وكنت قدما إلى السوءات تجري بالعراء!
فلست كجار جار أبي دواد ولا الأسدي جار أبي العلاء
ولكن عاركم داء قديم وداء الغدر فاعلم شر داء

كانت حادثة أحد والرجيع ومعونة سبيلاً لأن يرفع أعداء المسلمين رؤوسهم، وبدأوا يجمعون صفوفهم لعودة نفوذهم الذى قضى عليه الرسول ﷺ .

وتحالف اليهود والمنافقون والمشركون ضد الرسول، لذلك رسم الرسول خطته الحكيمة فى مواجهتهم فجاء أمره بقتل كعب بن الأشرف لسان اليهود ورأس الفتنة، وإذاعة الكفر، وهذا شعر كعب بن مالك الإعلامي يكشف قتل ابن الأشرف لأمر الرسول: ( ابن هشام ، 2002 : 3 / 61)

فَغُودِرَ مِنْهُمُ كَعْبٌ صَرِيعًا فَذَلَّتْ بَعْدَ مَصْرَعِهِ النَّضِيرُ
عَلَى الْكَفَّيْنِ ثَمَّ وَقَدْ عَلَتْهُ بِأَيْدِينَا مُشَهَّرَةٌ ذُكُورُ
بِأَمْرِ مُحَمَّدٍ إِذْ دَسَّ لَيْلًا إِلَى كَعْبٍ أَخَا كَعْبٍ يَسِيرُ

وكان قتل ابن الأشرف وتصوير الشعر لهذا القتل سبيلاً لجلاء بنى النضير عن المدينة، وجاء الشعر الإعلامي يعكس هذا الجلاء فى صورة الذم لهم ومدح الرسول الكريم وافتدائه بالنفس والمال، يقول كعب :

قَدْ خَزِيَتْ بِغَدْرَتِهَا الْحُبُورُ كَذَاكَ الدَّهْرُ ذُو صَرْفٍ يَدُورُ

ويوضح سبب الخزي فى توبيخهم ، ويصور موقفهم من الرسول وما آل إليه أمرهم بعد ذلك( المصدر نفسه ، 3/ 62)

وَذَلِكَ أَ نَّهُمْ كَفَرُوا بِرَبٍّ عَظِيمٍ أَمْرُهُ أَمْرٌ كَبِيرٌ
وَقَدْ أُوتُوا مَعًا فَهْمًا وَعِلْمًا وَجَاءَهُمُ مِنَ اللَّهِ النَّذِيرُ
نَذِيرٌ صَادِقٌ أَدَّى كِتَابًا وَآيَاتٍ مُبَيَّنَةً تُنِيرُ

وصور جوابهم بلوحة إعلامية معبرة : (نفسه ، 3 / 63)

فَقَالُوا مَا أَتَيْتَ بِأَمْرِ صِدْقٍ وَأَنْتَ بِمُنْكَرٍ مِنَّا جَدِيرُ
فَقَالَ بَلَى لَقَدْ أَدَّيْتُ حَقًّا يُصَدِّقُنِي بِهِ الْفَهِمُ الْخَبِيرُ
فَمَنْ يَتْبَعْهُ يُهْدَ لِكُلِّ رُشْدٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ يُجْزَ الْكَفُورَ
فَلَمَّا أُشْرِبُوا غَدِرًا وَكُفْرًا وَحَادَ بِهِمْ عَنْ الْحَقِّ النُّفُورِ

وبالقضاء على قوى اليهود بقتل كعب بن الأشرف وبجلائهم عن المدينة وسيطرة المسلمين على أموالهم وأسلحتهم ،دبت فى نفوس المسلمين من جديد القوة بعد أن ضعفت بحوادث أحد والرجيع ومعونة .

كما هجا كعب أبا سفيان بن حرب برسالة إعلامية مصوراً جبنه وخوفه فيقول: ( نفسه ، 3 / 221)

وَعَدْنَا أَبَا سُفْيَانَ بَدْرًا فَلَمْ نَجِدْ لِمِيعَادِهِ صِدْقًا وَمَا كَانَ وَافِيَا
فَأُقْسِمُ لَوْ وَافَيْتَنَا فَلَقِيتَنَا لَأُبْتَ ذَمِيمًا وَافْتَقَدْتَ الْمَوَالِيَا
تَرَكْنَا بِهِ أَوْصَالَ عُتْبَةَ وَابْنِهِ وَعَمْرًا أَبَا جَهْلٍ تَرَكْنَاهُ ثَاوِيَا
عَصَيْتُمْ رَسُولَ اللهِ أُفّ لِدِينِكُمْ وَأَمْرِكُمْ السّيّئِ الّذِي كَانَ غَاوِيَا
فَإِنّي وَإِنْ عَنّفْتُمُونِي لِقَائِلٍ فِدًى لِرَسُولِ اللهِ أَهْلِي وَمَالِيَا
أَطَعْنَاهُ لَمْ نَعْدِلْهُ فِينَا بِغَيْرِهِ شِهَابًا لَنَا فِي ظُلْمَةِ اللّيْلِ هَادِيَا

وتنسب هذه الأبيات لكعب بن مالك كرواية ابن هشام ولعبد الله بن رواحة كما فى البداية لابن كثير(ابن كثير ، 4 /88) كما سلك كعب بن مالك أحياناً سبيل التهكم والسخرية فى صور إعلامية معبرة ، وهذا الأسلوب فى الهجاء أبلغ أسلوباً وأكثر إيلاماً فى نفس المهجو ، فقد ذكر صاحب الوساطة " أن أبلغ الهجاء ما جرى مجرى الهزل والتهافت ". ( الجرجانى ، 1951 : 412)

ومن أمثلة هجائه الإعلامي لأبى سفيان بن حرب فى غزوة السويق، فقد صور منزل قريش على فخامته بما لايزيد عن منزل دويبة صغيرة أشبه ما تكون بالثعلب فى مثل قوله: ( ابن هشام ، 2002 : 3 / 160)

يا لهف أم المسبحين على جيش ابن حرب بالحرة الفشل
إذ يطرحون الرجال من سئم الطي ر، ترقى فى لقنة الجبل
جاءوا بجمع لو قيس مبركه ما كان إلا كمفحص الدئل
عار من النصر والثراء ومن أبطال أهل البطحاء والأسل

وعندما هجا بني لحيان شبههم بالحيوان الصغير الضعيف الذى دخل شعباً ليس له مخرج إذ قال :

لو انَّ بني لحيان كانوا تناظروا لقوا عُصبا في دارهم ذات مَصْدَقِ
لقوا سَرَعانا يملأ السَّرْب روعه أمام طَحُون كالمجرة فَيْلقِ
ولكنهم كانوا وِبارا تتَّبعت شعاب حجاز غير ذي مُتنفَّق

ولعله بذلك يهدف إلى النيل من المشركين فى صورة إعلامية فى إطار حرب نفسية توهم هؤلاء، وتقلل من شأنهم وترفع الروح المعنوية للفئة المؤمنة التى عزت بالإسلام، وتعلي من شأن الدعوة الإسلامية التى بدد نورها ظلام الشرك والضلال . ينظر،( أبو مصطفى ، 2007 : 11)

كما شارك كعب فى الحرب *التى دارت رحاها بين شعراء المسلمين وشعراء الكفار التى اتخذت فى الغالب صورة المناقضات الشعرية وأسهم* بست نقائض وأرجوزتين ناقض فيها شعراء الكفر ، فقد تصدى لضرار بن الخطاب فنقض ما قاله يوم بدر، ولأبى سفيان بن حرب فى غزوة السويق ، ولعمرو بن العاص فى أحد ، والعباس بن مرداس فى غزوة بنى النضير ، ولعبد الله بن الزبعرى فى الخندق ، فهو شاعر شجاع تفاعل مع الأحداث ، مدافعاً عن الإسلام بسيفه ولسانه بنفس مطمئنة واثقة بنصر الله سبحانه وتعالى ، لتكون كلمة الله هى العليا وكلمة الذين كفروا هى السفلى .

والجدير بالذكر أن كعب بن مالك أدى دوره الإعلامى على أكمل وجه ، وأبدع فى هذا المجال، إذ سلك معظم الطرق التى يسلكها الشاعر للوصول إلى غرضه من تكذيب ، ومقابلة ، وقلب ، ووعيد ، وشماتة ، وقد غلب عنصر الوعيد ، وهو بذلك يضرب على أوتار حساسه ، لتحطيم معنويات المشركين الذين يريدون إطفاء نور الله ، والنيل من المسلمين وتفريق شملهم .

**رثـــاء الشـهداء :**

جاء شعر الرثاء للذين استشهدوا من المسلمين فى المعارك فكان أبلغ تصوير لنفسية الشعراء وترجمة عن صدق عقيدتهم وإخلاصهم فى الجهاد ، كما كان أقوى دعوة إلى الإسلام لمزج الرثاء باستشهاد المسلمين فى الجهاد للحصول على نعيم الآخرة فتطمح النفوس إلى الموت حباً فى سبيل الله وأملاً فى رضى الله ، وكان شعر كعب ابن مالك الإعلامي فى رثاء المجاهدين يمثل هذه الروح الإسلامية .

يقول فى رثاء حمزة عم الرسول ﷺ : (ابن هشام ، 2002 : 3 / 73)

وَلَقَدْ هُدِدْتُ لِفَقْدِ حَمْزَةَ هَدَّةً ... ظَلَّتْ بَنَاتُ الْجَوْفِ مِنْهَا تَرْعَدُ
وَلَوْ أَنَّهُ فُجِعَتْ حِرَاءُ بِمِثْلِهِ ... لَرَأَيْتُ رَاسِيَ صَخْرِهَا يَتَبَدَّدُ
عَمُّ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ وَصَفِيُّهُ ... وَرَدَ الْحِمَامَ فَطَابَ ذَاكَ الْمَوْرِدُ
وَأَتَى الْمَنِيَّةَ مُعْلِمًا فِي أُسْرَةٍ ... نَصَرُوا النَّبِيَّ وَمِنْهُمُ الْمُسْتَشْهَدُ
وَلَقَدْ إِخَالُ بِذَاكَ هِنْدًا بُشِّرَتْ ... لَتُمِيتُ دَاخِلَ غُصَّةٍ لَا تَبْرُدُ

إلى أن يقول :

فَأَتَاكَ فَلُّ الْمُشْرِكِينَ كَأَنَّهُمْ ... وَالْخَيْلُ تَتْفِنُهُمْ نَعَامٌ شُرَّدُ
شَتَّانَ مَنْ هُوَ فِي جَهَنَّمَ ثَاوِيًا ... أَبَدًا وَمَنْ هُوَ فِي الْجِنَانِ مُخَلَّدُ

أبدى كعب بن مالك فى هذه الأبيات إعجابه بشجاعة حمزة وتضحيته فى سبيل الله ، كما رسم صورة إعلامية تبين فداحة الخطب وهول المصيبة وعظم المصاب فيه، ولكن عزاؤه أنه فى جنان النعيم ينعم عند الله وفي رضوانه وغير ذلك من المعاني الإسلامية التى تصور عقيدة كعب كما بدت فى قصيدة أخرى :( المصدر نفسه ، 3 / 165)

وقتلاهم في جِنانِ النعيـمِ ... كرامُ المَدَاخلِ والمَخْرَجِ
بما صبروا تحتَ ظلّ اللواءِ ... لواءِ الرسولِ بذي الأَضْوَجِ
غَداةَ أجابت بأسيافهـا ... جميعاً بنو الأوْسِ والخزرجِ
وأشياعُ أحمدَ إذ شايعـوا ... على الحقّ ذي النورِ والمنهجِ
فما بَرِحوا يضربون الكُمـاةَ ... ويمضون في القَسْطَلِ المُرْهَجِ

كذلك حتى دعاهم مَليكٌ إلى جنةٍ دَوْحَةِ المولجِ
فكلهم مات حُرَّ البلاءِ على ملةِ الله لم يَحْرَجِ

فالبكاء على شهداء المسلمين الذين آمنوا بالله وصدقوا رسوله استحقوا النعيم فى دار الكرامة، كل ذلك معان إسلامية فى صور إعلامية أصيلة يبرزها شعر كعب فى حرارة إيمانه وصدق عقيدته، فألفاظه الإسلامية تعكس هذه المعانى وتعبر عن صدق إيمانه فى قوله: ( نفسه ، 3 / 170 )

بَكَتْ عينى وحقَّ لها بُكاها وما يُغنى البكاءُ ولا العويلُ
على أسدِ الالهِ غَداةَ قالوا أحمزةُ ذاكُم الرجلُ القتيلُ
أصيب المسلمون به جميعا هناك وقد أصيب به الرسولُ
أبا يَعْلى لك الأركانُ هُدَّتْ وأنت الماجدُ البَرُّ الوَصولُ
عليك سلامُ ربّك في جِنانٍ مُخالطها نعيم لا يزولُ

إلى أن يقول ( نفسه ، 3 /171 )

وقبل اليومِ ما عَرَفوا وذاقوا وقائعَنا بها يُشْفَى الغليلُ
نسِيتم ضربَنا بقليبِ بدر غَداةَ أتاكمُ الموتُ العجيلُ
غداة ثَوى أبو جهلٍ صريعا عليه الطيرُ حائمة تجولُ
وعتبةُ وابنُه خرَّا جميعا وشَيْبةُ عضه السيفُ الصقيلُ

مزج كعب رثاءه بالمعانى الإسلامية وجعل الجزاء من الله الوفي الأوفى، بألفاظ وأساليب حملت معاني الرثاء مثل " السلام من الله – الجنان – نعيم " فظهور هذه الألفاظ فى شعره دليل على أثر الإسلام وتأثره به .

كما انطلق يرثى الشهداء بلوحات إعلامية معبرة فيقول: ( نفسه ، 4 / 26)

هم أولياء الله أنزل حكمه عليهم وفيهم ذو الكتاب المطهر

كما رثاهم فى صور إعلامية تثير الآلام عليهم وتوضح كفاحهم فى سبيل الله مستفتحاً رثاءه باستدرار الدموع عليهم حسرات قائلاً :( نفسه ، 4 / 27)

نام العيون ودمع عينك يهمل سحاً وكف الطباب المخضل

إلى أن يصل برثائه إلى هذه اللوحة الإعلامية المؤثرة :

وجدا على النفر الذين تتابعوا يوما بمؤتة أسندوا لم ينقلوا
صلى ا لإله عليهم من فتية وسقى عظامهم الغمام المسبل
صبروا بمؤتة للإله نفوسهم حذر الردى ومخافة أن ينكلوا
فمضوا أمام المسلمين كأنهم فنق عليهن الحديد المرفل

إلى أن يقول : ( ديوان كعب بن مالك ، 1966 : 260)

قوم بهم عصم الإله عباده وعليهم نزل الكتاب المنزل

كان رثاء كعب بن مالك للذين استشهدوا تصويراً لإيمانهم، متخذاً من رثاء الشهداء وتمجيد بطولاتهم وتصوير أعمالهم الخالدة سبيلاً لنشر الإسلام بين العرب بتعبير يعشقونه، ويحبونه فكان ذلك بالإضافة إلى نشر الدعوة تقوية روح المقاتلين المعنوية .

كان كعب ناطقاً إعلامياً للرسول ﷺ ، وعبر عن حزنه الشديد لفقدهم وفى ذلك دلالة واضحة على مكانة الشهيد عند المسلمين ، وإشارة إلى بث الأفكار الإسلامية بأسلوب إعلامى فى رثاء شهداء المسلمين .

وعندما انتقل الرسول الكريم ﷺ إلى الرفيق الأعلى أصيب المسلمون جميعاً بصدمة ، وشعروا بهول الفاجعة فراح كعب يرثيه ويعدد مناقبه بقلب حزين ودمع غزير فى لوحة إعلامية مؤثرة : ( ابن سعد ، 2001 : 2 / 324)

يَا عَيْنُ فَابْكِي بِدَمْعٍ ذَرَى ... لِخَيْرِ الْبَرِيَّةِ وَالْمُصْطَفَى
وَابْكِي الرَّسُولَ وَحَقَّ الْبُكَاءُ ... عَلَيْهِ لَدَى الْحَرْبِ عِنْدَ اللِّقَا
عَلَى خَيْرِ مَنْ حَمَلَتْ نَاقَةٌ ... وَأَتْقَى الْبَرِيَّةِ عِنْدَ التُّقَى
عَلَى سَيِّدٍ مَاجِدٍ جَحْفَلٍ ... وَخَيْرِ الْأَنَامِ وَخَيْرِ اللَّهَا
لَهُ حَسَبٌ فَوْقَ كُلِّ الْأَنَامِ ... مِنْ هَاشِمٍ ذَلِكَ الْمُرْتَجَى
نَخُصُّ بِمَا كَانَ مِنْ فَضْلِهِ ... وَكَانَ سِرَاجًا لَنَا فِي الدُّجَى
وَكَانَ بَشِيرًا لَنَا مُنْذِرًا ... وَنُورًا لَنَا ضَوْءُهُ قَدْ أَضَا
فَأَنْقَذَنَا اللَّهُ فِي نُورِهِ ... وَنَجَّى بِرَحْمَتِهِ مِنْ لَظَى

فلقد أدرك كعب هول الفاجعة وعظم المصاب، لأن فقد النبي يعنى انقطاع الوحي، لذا لم يكتف بنعيه إلى أصحابه والمسلمين، بل تعداهم إلى جميع العالمين لدرجة أنه أشرك الجن فى هذا النعي حيث يقول فى هذه اللوحة الإعلامية الحزينة : ( ديوان كعب ، 1966 : 217)

ألا انْعِي النّبيَّ إلى العَالَمِينَا ... جَمِيعاً ولاَسِيَّما المُسْلِمينا
ألا أنعِي النّبيَّ لأَصْحابِهِ ... وأَصْحَابِ أَصْحَابِهِ التَّابعينا
ألا أنعِي النّبيَّ إلى من هَدَى ... مِنَ الجِنّ ليلةَ إذْ تَسْمَعُونا
لِفَقْدِ النّبيّ إمَامِ الهُدَى ... وَفَقْدِ المَلاَئِكَةِ المُنزَلِينا

تحمل هذه الأبيات معان سامية، وأفكاراً ناضجةً ورؤى مستقبلية، ولمحات إعلامية، فالرسول أرسل رحمة للعالمين، ومناراً وهادياً للضالين، كما إن إشراك الجن فى النعي له دلالات عميقة، فمنهم من آمن ومنهم من كفر ففى هذا النوع من الرثاء نجد إشارة إعلامية لتطور القيم والمبادىء العربية ونموها وسموها فى ظل التعاليم الإسلامية السامية، ويصب فى معين الدعاية الإعلامية للأفكار الإسلامية الجديدة، وخاصة أن المسلم يصبر على هذه المصيبة لأنه يعلم أن الله بشر الصابرين بأن عليهم صلوات من ربهم و رحمة .

## المبحث الثالث

## الخطاب الإعلامى في شعر عبد الله بن رواحة

هو "عبد الله بن رواحة بن ثعلبة بن امريء القيس، بن عمرو بن مالك بن الأغر بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج ابن الحارث الأنصاري الخزرجي " ( الأصفهاني ، 1992 : 16 / 35)

شاعر حجازي ولد فى يثرب وشب وترعرع فيها، وهو خزرجي النسب يعود أصله إلى قبائل الأزود القحطانية الذى نزحوا إلى شمال الجزيرة العربية بعد تصدع سد مأرب ، أقام الأوس والخزرج قوم عبد الله فى المدينة .

وهو شاعر فارس، وصحابي جليل، وقائد من قواد معارك الإسلام، وأحد شخصيات المسلمين الذين دافعوا عن الدين بالسيف واللسان، وكان سيداً من سادات قومه، ثم جاء الإسلام فمن الله عليه بالإيمان والهداية، فكان من السابقين الأولين ، ثم أصبح جندياً من جنوده البواسل ، فشهد مع رسول الله جميع الغزوات والوقائع لم يتخلف عن واحدة منها حتى استشهد يوم مؤتة. ينظر،( ديوان عبد الله بن رواحة ، 20 –21)

كان عبد الله بن رواحة رفيع القدر والمنزلة فى قومه قال عنه ابن سلام: " وعبد الله بن رواحة عظيم القدر فى قومه، سيد فى الجاهلية " وقد ذكره فى الطبقات فى طبقة "شعراء القرى العربية " ثم تحدث عن مكانته ورفعة شأنه ،فقال: " ليس فى طبقته التى ذكرنا أسود منه "( الجمحي ، 2001 : 223)

إن عبد الله بن رواحة منذ ارتباطه بالإسلام، وهب نفسه لله ورسوله، وجرد نفسه من علائق الدنيا الفانية وسخرها لخدمة الرسول ودعوته الجديدة، وتجلى ذلك فى حرصه على حضور المشاهد والغزوات مع رسول الله دعا رسول الله ﷺ عبد الله بن رواحة وقال له : قل شعراً تقتنصه الساعة ، وأنا أنظر إليك فقال عبد الله : "( ابن عبد البر ، 1992 : 3 / 900 )

إِنّي تَفَرَّستُ فيكَ الخَيرَ أَعرِفُهُ ... وَاللَهُ يَعلَمُ أَن ما خانَني البَصَرُ
أَنتَ النَبِيُّ وَمَن يُحرَم شَفاعَتَهُ ... يَومَ الحِسابِ فَقَد أَزرى بِهِ القَدَرُ
فَثَبَّتَ اللَهُ ما آتاكَ مِن حَسَنٍ ... تَثبيتَ موسى وَنصراً كَالَّذي نُصِروا

فدعا له الرسول مشجعاً قائلاً : " وأنت فثبتك الله يا ابن رواحة . وكان رسول الله ﷺ يرى فى الشعر قوة " إذاعية " يسمعه ناقداً وموجهاً ومشجعاً فى المسجد وفى جلساته وفى سفره وينكر سماعه أصحابه فى المسجد ، فعمر بن الخطاب الذى أنكر على ابن رواحة إنشاده الشعر فى المسجد بين يدي الرسول فيجيبه الرسول قائلاً : " خل عنك يا عمر فلشعره أسرع فيهم من نضح النبل "( إبراهيم ، 1971 : 259)

كما كان الرسول يسمع شعراء المسلمين ليوجههم فى إطار رسالة الإسلام ، ليتخذ منهم قوةً إعلاميةً يواجه بها قريشاً فى حروبها التى سخرت فيها الأنفس والأموال والشعراء لتشويه الإسلام والقضاء عليه .

كما كان يدفع المسلمين للشجاعة وحب القتال بعد أن نمت الروح الإسلامية فى النفوس، وانطبعت على الجوارح فكان هذا تحريض من الرسول أشبه بالتحريض الذى أمره الله تعالى به ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ** ﴾ ( سورة الأنفال الآية65 )

ولما وزع رسول الله المهام بين شعراء الدعوة الثلاثة، كان كعب بن مالك للهجاء بالأيام، ولذلك كان الرسول يقول له: أنت تحسن صنعة الحرب، وحسان للهجاء بالمثالب ولكون هجائه مبنياً على الحقائق الدامغة أمره الرسول بالذهاب إلى أبى بكر ليتعلم منه أنساب العرب ومثالبها .

أما ابن رواحة فكان للهجاء بالكفر والشرك وبهذا أعد رسول الله ﷺ الشعراء واختارهم ليكونوا قوة إعلامية وأجهزة نشر للدعوة الإسلامية .

وكان هناك قوتان لحراسة الدعوة الإسلامية والتأمين عليها قوة الجيش لإخضاع الكفار عسكرياً ، وقوة الإعلام لنشر الإخضاع فكرياً (ينظر: إبراهيم ، 1971 : 264) ، كما كان اختيار الرسول ﷺ للشعراء الثلاثة أمراً ضرورياً يتلاءم مع طبيعة الدولة نفسها لأن أعداء الإسلام استخدموا كل أساليب المقاومة للقضاء على الدعوة ، وكان سلاح الشعر أخطر هذه الأساليب لدوره فى تشويه العقيدة والتحريف لتعاليم الإسلام ، والتنفير مما يقوم به الدعاة فيؤثر ذلك فى الذين لم تستقر فى عقولهم بعد الملامح الجديدة لعقيدة الإسلام ، والذين يعطون لهذا الشعر الذى يصدر عن مكة وعن شعراء من قوم النبي أهمية خاصة . ينظر،( القيرواني ، 1972 : 1/ 12)

ورد في الأغاني أنه " كان يهجو رسول الله ﷺ ثلاثة رهط من قريش : عبد بن الزبعرى ، وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، وعمرو بن العاص ، فكان يهجوهم ثلاثة من الأنصار، حسان بن ثابت وكعب بن مالك ،وعبد الله بن رواحة ، فكان حسان وكعب يعارضانهم بمثل قولهم فى الوقائع والأيام ويعيرانهم بالمثالب وكان عبد الله بن رواحة يعيرهم بالكفر فكان فى ذلك الزمان أشد القول عليهم قول حسان وكعب ، وأهون القول عليهم قول ابن رواحة ، فلما أسلموا وفقهوا كان أشد القول عليهم قول ابن رواحة ."( الأصفهاني ، 1992 : 4 / 144) كان عبد الله بن رواحة صفحة مشرقة ناصعة البياض فى تاريخ الإسلام ، وهو قدوة طيبة ، والمثال الصالح ، والمؤمن الحق ، ولقد كان مجاهداً فى نفسه كما كان مجاهداً فى ميدان القتال ، فقد حضر مع رسول الله جميع الغزوات والمشاهد ، إذ كانت الفروسية والقتال معالم واضحة فى حياة ابن رواحة ، فهو شاعر صادق الإيمان ، قوى العقيدة ، ومنذ أن عجل فى الدخول فى دين الله ، وتفتح قلبه لدعوة الحق ، وملأ الإسلام قلبه فالتزم به فكراً وسلوكاً وعقيدةً ، فكان دائماً سباقاً إلى العبادة والطاعة وفعل الخيرات. ينظر،( ديوان عبد الله بن رواحة ، 1982 : 43)

لقد صاحب رسول الله وحرص على تقديس الرسالة الإعلامية المكلف بها فالتزم بمبادئها، وتفانى فى تنفيذ أوامرها وفى ذلك يقول: ( المصدر نفسه ، 94)

إني تفرست فيك الخير أعرفه  فراسة خالفتهم في الذي نظروا

## شعره الإعلامى فى الدعوة إلى الله والإيمان برسوله :

يمثل شعر عبد الله بن رواحة دعوة إلى الله والإيمان به، يذكر فى هذه الأبيات قصة زينب بنت الرسول ﷺ مع زوجها أبى العاص ، وقد تزوجها فى الجاهلية ، ولما بعث النبي ظل على كفره ، بينما آمنت زينب بأبيها ، وقد أسر أبو العاص فى بدر ، فافتدته زينب من أبيها ، فأطلقه المسلمون على أن يرد زينب على أبيها من مكة ، وخرج أبو العاص فأرسلها فى هودج إلى المدينة. ينظر، ( ديوان عبد الله بن رواحة ، 1982 / 88 )

ويشير إلى انتصار المسلمين فى بدر وإلى بعض رؤوس قريش الذين أسروهم ووضعوهم فى الأصفاد، ثم يقسم أن تظل جيوش المسلمين تدفع ( قريش الكفر ) ، وتسقيها كأس الذل ، وسيندمون ولكن سيكون الوقت قد فات ، ولن ينفعهم الندم يقول فى هذه اللوحة الإعلامية : (المصدر نفسه ، 89)

أَتَانِي الّذِي لَا يَقْدِرُ النّاسُ قَدَرَهُ  لِزَيْنَبِ فِيهِمْ مِنْ عُقُوقٍ وَمَأْثَمِ
وَإِخْرَاجُهَا لَمْ يُخْزَ فِيهَا مُحَمّدٌ  عَلَى مَأْقِطٍ وَبَيْنَنَا عِطْرُ مَنْشَمِ
وَأَمْسَى أَبُو سُفْيَانَ مِنْ حِلْفِ ضَمْضَمٍ  وَمِنْ حَرْبِنَا فِي رَغْمِ أَنْفٍ وَمَنْدَمِ
فَرَبّا ابْنَهُ عَمْرًا وَمَوْلَى يَمِينِهِ  بِذِي حَلَقٍ جَلْدِ الصّلَاصِلِ مُحْكَمِ
فَأَقْسَمْت لَا تَنْفَكّ مِنّا كَتَائِبُ  سُرَاةُ خَمِيسٍ فِي لُهَامٍ مُسَوّمِ
نُزُوعُ قُرَيْشَ الْكُفْرَ حَتّى نَعُلّهَا  بِخَاطِمَةِ فَوْقَ الْأُنُوفِ بِمِيسَمِ
نُنَزّلُهُمْ أَكْنَافَ نَجْدٍ وَنَخْلَةَ  وَإِنْ يُتْهِمُوا بِالْخَيْلِ وَالرّجْلِ نُتْهِمِ

يَدَ الدّهْرِ حَتّى لَا يُعَوّجَ سِرْبُنَا وَنُلْحِقُهُمْ آثَارَ عَادٍ وَجُرْهُمِ
وَيَنْدَمُ قَوْمٌ لَمْ يُطِيعُوا مُحَمّدًا عَلَى أَمْرِهِمْ وَأَيّ حِينَ تَنَدّمِ

تضمنت هذه اللوحة الإعلامية بعض المعاني الدينية، فالشاعر يعير قريشاً بالكفر فيسميها "قريش الكفر" بأنها أقامت على كفرها، وعصت محمدا، وهو يدعو أبا سفيان بن حرب للإسلام وإلى أن يسجد لله مخلصاً ويعين له مصيره وإن لم يفعل، وهو المصير نفسه الذى يشير إليه القرآن الكريم من أن الكافرين لهم الخزي فى الدنيا، ولهم فى الآخرة عذاب عظيم .

ثم يتوجه إلى أبي سفيان مباشرة يحذره بأنه إذا لم يسلم فإن الخزي سيصيبه فى الدنيا وفى الآخرة وسيخلد فى جهنم ، ويقول فى أبياته الإعلامية : (نفسه ، 90)

فَأَبْلِغْ أَبَا سُفْيَانَ إمّا لَقِيته لَئِنْ أَنْتَ لَمْ تُخْلِصْ سُجُودًا وَتَسْلَمْ
فَأَبْشِرْ بِخِزْيٍ فِي الْحَيَاةِ مُعَجّلٍ وَسِرْبَالِ قَارٍ خَالِدًا فِي جَهَنّمِ

أسهم شعر عبد الله بن رواحة فى التمهيد بحرب نفسية ترهب سادة الكفر، وتدعوهم إلى الإسلام والإيمان بالله فى صورة إعلامية معبرة، ومن شعره فى المناسبات الإسلامية ماكان يرتجز به عندما دخل الرسول ﷺ مكة فى عمرة القضاء فى ذي القعدة سنة سبع من الهجرة ، كان يوماً عظيماً للإسلام والمسلمين ، وقد أخذ عبد الله بزمام ناقة النبي يسوقها ، وهو يرتجز طالباً كفار قريش أن يخلوا السبيل أمامه حتى يؤدي عمرته فيقول : ( ديوان عبد الله بن رواحة ، 91)

خلوا بني الكفار عن سبيله خلوا فكل الخير في رسوله
يا رب إني مؤمن بقيله أعرف حق الله في قبوله
نحن قتلناكم على تأويله كما قتلناكم على تنزيله
ضرباً يزيل الهام عن مقيله ويذهل الخليل عن خليله

فقد تأثر ابن رواحة بألفاظ القرآن الكريم وآياته بشكل واضح ظهر ذلك فى قصة جارية له كان يستسرها عن أهله ، فبصرت به امرأته يوماً فغضبت ، وقالت : قد اخترت أمتك على حرتك ، فجاحدها ذلك ، فقالت : فإن كنت صادقاً ، فاقرأ آية من القرآن فإن الجنب لا يقرأ القرآن فقال فى هذه اللوحة الإعلامية المعبرة : ( المصدر نفسه ، 92 )

شهدت بأن وعد الله حق وأن النار مثوى الكافرينا
وأن العرش فوق الماء طافٍ وفوق العرش ربُّ العالمينا
وتحمله ملائكة شداد ملائكة الإله مسومينا

نلمح فى هذه الأبيات عقيدة عبد الله الدينية، وعاطفته الإسلامية التى تتمثل فى الألفاظ والأساليب والمعاني ، حتى توهمت زوجته أنه إنما قرأ عليها قرآنا ، فقالت له : آمنت بالله وكذبت البصر .

ثم يذكر رسول الله ﷺ وفضله وتقاه وعبادته ، ومتحدثاً إعلامياً للدين الجديد عليهم حيث آراهم الهدى بعد العمى والضلال ، وأخرجهم الى النور والحق ، ثم يذكر الحشر بعد الموت يقول فى أبياته الإعلامية : ( نفسه ، 93)

وفينا رسولُ اللهِ يَتْلو كِتابهُ إذا انْشَقّ مَعْرُوفٌ من الفَجْر ساطِعُ
أرانا الهُدَى بعد العَمَى فَقُلوبُنا بِه مُوقِناتٌ أن ما قال واقِع

يَبِيتُ يجُافِي جَنْبَهُ عن فراشه إذا اسْتثْقلتْ بالمشركين المضاجِع
وأعْلمُ عِلْماً ليس بالظنّ أنّني إلى اِلهِ محشور هناك وراجِع

كان ابن رواحة يستعير ألفاظه من القرآن الكريم، يتضح ذلك من خلال شعره الإعلامى حيث تأثر بالمعاني الإسلامية وأكد إخلاصه لهذا الدين، وولاؤه لرسوله الكريم وإقراره بفضله وجهاده، فقد أخرجهم من ظلام الجهل ووثنيته الى نور الإيمان والهداية، وأبرز ذلك فى لوحته الإعلامية الصادقة قائلاً: ( نفسه ، 95)

خَلَفَ السَّلامُ عَلَى امْرِئٍ وَدَّعْتُهُ فِي النَّخْلِ خَيْرَ مُشَيِّعٍ وَخَلِيلِ

فقد استعار من القرآن الكريم لفظة السلام التى هى أحد أسماء الله أو صفاته العلا .

والحق أن عبد الله بن رواحة قام بدور إعلامى خطير حيث أوضح لقريش ومن ساندها فى ضلالها مقدار الخيبة التي هم فيها ، فشتان ما بين حالتهم ، وحالة المسلمين بعد أن أسلموا وامتلأت صدورهم بالإيمان ، وهو يتضجر لما آل إليه حال الكفار والمشركين وما صاروا إليه بعد كفرهم وفى ذلك يقول فى هذه اللوحة الإعلامية ( ديوان عبد الله بن رواحة ، 1982 : 105)

عصيتم رسول الله، أف لدينكم وأمركم السيء الذي كان غاويا
وإني ولو عنفتموني لقائل فدى لرسول الله إهلي وماليا
أطعنا فلم نعدل سواه بغيره شهاباً لنا في ظلمة الليل هاديا

**شعره الإعلامي في المدح:**

خصّ عبد الله بن رواحة آل هاشم قوم النبي بالمديح، فذكر أن الله فضلهم على غيرهم إذ اختار رسولاً منهم، وغمز أبناء عمر بن مخزوم، وسخر منهم فى هذه اللوحة الإعلامية قائلاً : (المصدر نفسه ، 94)

يا هاشم الخير إن الله فضلكم على البرية فضلا ما له غير
فخبروني أثمان العباء متى كنتم بطارق أو دانت لكم مضر

ولكن رسول الله ﷺ كره أن يسمي بعض قومه " أثمان العباء " وفطن الى ذلك ابن رواحة ، فأسرع يصلح ما قاله فى صورة إعلامية واضحة :

نجالد الناس عن عرض فنأسرهم فينا النبي وفينا تنزل السور
وقد علمتم بأنا ليس يغلبنا حي من الناس إن عزّوا وإن كثروا

كما صور جيش المسلمين بخيوله المعدة للقتال فى صورة إعلامية معبرة حيث يقول : ( نفسه ، 115)

جلَبْنَا الْخَيْلَ مِنْ أَجَإٍ وَفَرْعٍ تُغَرُّ مِنَ الْحَشِيشِ لَهَا الْعُكُومُ
حَذَوْنَاهَا مِنَ الصَّوَّانِ سِبْتًا أَزَلَّ كَأَنَّ صَفْحَتَهُ أَدِيمُ

ويبرز قوة إيمان المسلمين واستعدادهم للجهاد فى سبيل الله على خيول أعدوها للحرب فى لوحتة الإعلامية قائلاً : ( ابن هشام ، 2002 : 3 / 165 )

فَرُحْنَا وَالْجِيَادُ مُسَوَّمَاتٌ تَنَفَّسُ فِي مَنَاخِرِهَا السَّمُومُ
فَلَا وَأَبِي مَآبَ لَنَأْتِيَنْهَا وَإِنْ كَانَتْ بِهَا عَرَبٌ وَرُومُ
فَعَبَّأْنَا أَعِنَّتَهَا فَجَاءَتْ عَوَابِسَ وَالْغُبَارُ لَهَا بَرِيمُ
بِذِي لَجَبٍ كَأَنَّ الْبَيْضَ فِيهِ إِذَا بَرَزَتْ قَوَانِسُهَا النُّجُومُ
فَرَاضِيَةُ الْمَعِيشَةِ طَلَّقَتْهَا أَسِنَّتُهَا فَتَنْكِحُ أَوْ تَئِيمُ

تظهر هذه الأبيات قوة إيمان عبد الله بن رواحة الذى حركه إلى القتال فى سبيل الله وكان من القوة بحيث تمثل الخيول المعدة للقتال تسرع بدافع هذا الإيمان ، وذلك ترجمة عن حرارة هذا الإيمان فى النفوس يصهر الحياة بلذاتها وشهواتها أمام رضى الله والاستشهاد فى سبيله أمل المؤمنين الصادقين .

**رثـاء الشـهداء :**

استغل عبد الله بن رواحة فن الرثاء لبث الأفكار الإسلامية الجديدة والقيم والمثل التى آمن المسلمون بها، فكان لا يثقل عليه حسن الخطاب فبرز رثاؤه تمجيداً لبطولة الشهداء، وتصويرًا إعلاميًا لأعمالهم الخالدة وسبيلًا لنشر الإسلام بين العرب، فقد كان العربى قبل الدعوة يؤثر الموت فى ساحات الوغى، دفاعًا عن شرف قبيلته ، ورفضًا لحياة الذل والهوان ، ورغبةً فى تخليد اسمه فى سجل الأبطال الشجعان، أما المسلم فيرفع راية الجهاد لنيل إحدى الحسنيين ،فراح عبد الله يتحدث عن فضل الجهاد والاستشهاد فى سبيل الله ، قال يرثى حمزة بن عبد المطلب عم النبي الذى استشهد فى أحد سنة ثلاث للهجرة ويعدد مناقبه ومآثره فهو سيد شريف كريم النسب والحسب يقول فى هذه الأبيات الإعلامية الحزينة : ( ابن هشام ، 2002 : 3 / 85)

| | |
|---|---|
| بكت عيني وحق لها بكاها | وما يغني البكاء ولا العويل |
| على أسد الإله غداة قالوا | أحمزة ذاكم الرجل القتيل |
| أصيب المسلمون به جميعا | هناك وقد أصيب به الرسول |
| أبا يعلى لك الأركان هدت | وأنت الماجد البر الوصول |
| عليك سلام ربك في جنان | مخالطها نعيم لا يزول |
| ألا يا هاشم الأخيار صبرا | فكل فعالكم حسن جميل |
| رسول الله مصطبر كريم | بأمر الله ينطق إذ يقول |

بدأ قصيدته بالبكاء عليه ، ويذكر فجيعة المسلمين بفقده، وخص رسول الله ﷺ ، فلم يكن حمزة رجلًا عاديًا ، كان أسد الله ماجدًا برًا شريفًا ، ويدعو له بجنة نعيمها لا يزول .

ويصبر آل هاشم ويدعوهم بالإقتداء برسول الله فى صبره وتسليمه فيقول فى هذه اللوحة الإعلامية يحث الناس على الجهاد والاستشهاد :

| | |
|---|---|
| يا نفسُ إلاّ تُقْتَلي تَمُوتِي | هذا حِمَامُ الموتِ قدْ صَلِيتِ |
| وما تمنَّيتِ فقد لقِيتِ | إنْ تفْعلِي فِعْلَهُمَا هُدِيتِ |

كان رسول الله ﷺ قد عقد لواءً أبيضًا ودفعه الى زيد بن حارثة الأمير الأول لجيش المسلمين فى غزوة مؤته ،فإن قتل زيد فجعفر بن أبى طالب ، فإن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة ، فإن أصيب عبد الله بن رواحة فليرضى المسلمون رجلا بينهم فليجعلوه عليهم ، فقد كانت أمنية عبد الله بن رواحة ولا شيء سواها ضربة سيف أو طعنة رمح ، تنقله الى عالم الشهداء الظافرين ، ولم يكن عجيبًا عليه فقد خرج مع النبي ﷺ فى كل غزواته ( بدر ، وأحد، والخندق، والحديبية ، وخيبر ) راغبًا فى الشهادة فى سبيل الإسلام فقد كان عبد الله بن رواحة شاعرًا مجاهدًا ، جسد أروع صور الدفاع عن الإسلام والذود عنه بشعر إعلامى صادق يحض النفوس على التقوى والجهاد وطلب الشهادة ،لقد كون هذا الشاعر المجاهد مع حسان بن ثابت وكعب بن مالك جبهة شعرية إعلامية تقف الى جوار رسول الله

ﷺ ترد عنه الهجمات الشرسة التى خاضها كفار قريش ، واتخذ من رضاء الله على الشهداء وإدخالهم الجنة تسلية وعزاء له وللمؤمنين .

**استشهاده:**

انطلق عبد الله يطلب الاستشهاد حبا فى لقاء الله ، ويناشد راحلته أن تسهم فى تحقيق هذا الاستشهاد إذ يقول فى لوحته الإعلامية( المصدر نفسه ، 4 / 16)

لَكِنّنِي أَسْأَلُ الرّحْمَنَ مَغْفِرَةً ... وَضَرْبَةً ذَاتَ فَرْغٍ تَقْذِفُ الزّبَدَا
أَوْ طَعْنَةً بِيَدَيْ حَرّانَ مُجْهِزَةً ... بِحِرْبَةٍ تُنْفِذُ الْأَحْشَاءَ وَالْكَبِدَا
حَتّى يُقَالَ إذَا مَرّوا عَلَى جَدَثِي ... أَرْشَدَهُ اللهُ مِنْ غَازٍ وَقَدْ رَشَدَا

ويصل به أمل الاستشهاد فى سبيل الله الى وقوعه فتركه المسلمون بأرض الشام ينعم برضاء الله وجواره فيقول فى لوحته الإعلامية : ( ديوان عبد الله بن رواحة ، 1982 : 98)

وجاء المسلمون وغادروني ... بأرض الشام مستنهى الثواء
وردَّك كل ذي نَسَب قريب ... إلى الرحمن منقطعَ الإخاء
هنالك لا أُبالي طلع بَعْل ... ولا نخل أسافلها رواء

وبهذا الإيمان الذى مثله ابن رواحة قاتل ليموت منتظرا ثواب الله ونعيمه، وليكون ذكرا للمؤمنين الصادقين يذكرونه بهذا الإيمان، كما أبرزت هذه الأبيات الإعلامية إيمان المؤمنين فاسترخصوا به الحياة واستعذبوا الموت فى سبيل الله ( المصدر نفسه ، 99)

أقسمت يا نفسُ لتنزِلنَّهْ ... لتنزِلِنَّ أو لتُكْرِهِنَّهْ
إن أجلبَ الناس وشدُّوا الرَّنَّة ... ما لي أراك تكرهين الجنَّة؟
قد طال ما قد كنتِ مطمئنة ... هل أنت إلا نُطفة في شَنَّة

نجد أن عبد الله بن رواحة يعاتب نفسه، فيزجرها بشدة كى ترضى بما اختار الله لها، لقد اختار الشهادة ولم يثنيه عنها شىء، ولسوف يسعى الى ذلك ويكفى ما ناله من نعيم .

هذا اللون الإعلامى من شعر عبد الله بن رواحة فى ذكر الموت أشبه ما يكون بحديث ذاتي يسوقه الشاعر بعبارة سهلة ولفظ سلس ، وهو شعر يفيض صدقا ويتدفق إيمانا ، تدفق على لسان الشاعر فى لحظة صدق وانفعال فى صورة إعلامية رائعة تظهر حبه للشهادة فى سبيل الله .

ولما استشهد عبد الله بن رواحة استولى على المسلمين الحزن لفراقه وجاءت مراثى الشعراء تعكس هذا الحزن فى صورة الإشادة بشجاعته وإقدامه فى القتال وفوزه بنعيم الجنة هذا حسان بن ثابت يصور قتال عبد الله بن رواحة فى صورة إعلامية للمستميت : (ديوان حسان بن ثابت / 24)

طَاعَنَ حَتّى مَالَ غير موسد ... بمعترك فِيهِ قَنَا مُتَكَسّرُ
فَصَارَ مَعَ الْمُسْتَشْهِدِينَ ثَوَابُهُ ... جِنَانٌ وَمُلْتَفّ الْحَدَائِقِ أَخْضَرُ

كما انطلق حسان لرثاء شهداء مؤتة، كذلك رثاهم كعب بن مالك فى صورة تثير الآلام عليهم، وتوضح كفاحهم فى سبيل الله مستفتحا رثاءه باستدرار الدموع عليهم حسرات ( ديوان كعب بن مالك ، 1966 : 260)

نَامَ الْعُيُون ودمع عَيْنك يهمل ... سَحّا كَمَا وَكَفَ الطباب المخضل

إلى أن يصل برثائه: ( ابن هشام ، 2002 : 4 / 27)

وَجْدًا عَلَى النَّفَرِ الَّذِينَ تَتَابَعُوا يَوْمًا بِمُؤْتَةَ أُسْنِدُوا لَمْ يُنْقَلُوا
صَلّى الْإِلَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ فِتْيَةٍ وَسَقَى عِظَامَهُمْ الْغَمَامُ الْمُسَبِّلُ
صَبَرُوا بِمُؤْتَةَ لِلْإِلَهِ نُفُوسَهُمْ حَذَرَ الرَّدَى وَمَخَافَةً أَنْ يَنْكُلُوا
فَمَضَوْا أَمَامَ الْمُسْلِمِينَ كَأَنَّهُمْ فُنُقٌ عَلَيْهِنّ الْحَدِيدُ الْمُرْفَلُ
قَوْمٌ بِهِمْ عَصَمَ الْإِلَهُ عِبَادَهُ وَعَلَيْهِمْ نَزَلَ الْكِتَابُ الْمُنْزَلُ

انتهى عمل عبد الله بن رواحة في المشاركة بتشييد الصرح العظيم من مجد الإسلام في العام الثامن للهجرة أي سنة 630م ، ودفن في بلدة مؤتة إلى الجنوب من مدينة الكرك في شرق الأردن ، وقبره في قرية " المزار" وهي مديرية ناحية تبعد عن مؤتة ثلاثة كيلومترات إلى الجنوب ، على الطريق المعبدة التي تربط عمان بالطفيلة ،

فكان المثل الحي لمن بعده، فهو يعد من الشخصيات البارزة في الحضارة الإنسانية والإسلامية، أنعم الله عليه بالاستشهاد في سبيل الله، ورفع رآية الإسلام خفاقة عالية، كما كان صحيفة الدعاية، وصوت الكرامة، فارساً مغواراً ،وبطلاً متفانياً، وله شأن خطير في النضال بين الحق والباطل .

ضم المجد من طرفيه في الشعر والفروسية .

## الخـــاتمـــة :

بعد هذا السعى وراء شعر الدعوة الاسلامية، ومعرفة شعرائه، وخطابهم الإعلامي الموجه للناس، نحاول أن نميط اللثام عن هذا الدور ومعرفة ما قاموا به من إنجاز يتمثل في دعم الدعوة، والإسهام في حث الناس للدخول في دين الله أفواجاً حتى أصبحت كلمة الله هي العليا، وكلمة الذين كفروا هي السفلى .

فقد توصلنا إلى عدة نتائج منها:

- اتخذ رسول الله ﷺ من الشعر وسيلة إعلامية ، واستنفر الشعراء المسلمين للرد على شعراء المشركين ، فتقدم إليه حسان بن ثابت ، وكعب بن مالك ، وعبد الله بن رواحة ، فوزع الأدوار الإعلامية عليهم ، فكان شعرهم وثيقة إعلامية وتاريخية لحياته وعصره .
- اختارهم الرسول ﷺ ليكونوا قوة إعلام وأجهزة نشر لإقرار الحق ، فكان دورهم مهماً في هجاء المشركين ، ويعد شعرهم رسالة إعلامية وإنسانية في الدعوة إلى التوحيد وتأييد الرسول .
- تصدوا لمناقضة شعراء قريش في إطار الحرب الإعلامية الشرسة بين معسكري الإسلام والكفر ، فقد خاضوا معركة حامية الوطيس مع المشركين، فانطلقوا مغردين بألسنتهم في تمجيد الجهاد في سبيل الله وحب الشهادة .
- أشار هؤلاء الشعراء إلى فضل الرسول ﷺ على العالمين فهو الذي فتح أذهانهم ، ونور بصائرهم إلى الحق بتلاوة القرآن ، وأخذ بأيديهم إلى الهدى بعد أن كانوا في الضلال .

أكدوا من خلال شعرهم الإعلامي عالمية الرسالة وأنها دعوة موجهة لكل الناس، تدعوهم إلى عبادة الله الواحد القهار، وهدايتهم إلى الطريق المستقيم، وتحقيق سعادتهم في الدنيا والآخرة، ولا شك أن خطابهم الإعلامي كان بارزاً منذ بداية الدعوة، فمعظم شعرهم كان قريباً من مواقع الأحداث، فهو المرآة التي انعكست على صفحتها صور الإيمان بالله ووحدانيته، كما صور جهادهم وصبرهم في المعارك، كما أسهم في إحراز النصر .

- تمكن شعرهم الإعلامي من التعبير عن خلجات المسلمين وأحزانهم حين رأوا أبطالهم وشهداءهم تطحنهم المعارك ضد الشرك وأهله، فكانوا يمجدون هذه البطولة من خلال شعر الرثاء مديحاً لهؤلاء الأبطال، وإشادة لما قاموا به من أعمال جليلة، كما رووا جانباً من جهاد النبي ﷺ فكان له التأثير الإيجابي الفاعل في الحياة الفكرية والأدبية والثقافية .
- كانت براعتهم الشعرية في هذه المقامات الإعلامية مدعاة لاعتناق بعض القبائل الإسلام، واستطاعوا أن يوظفوا شعرهم للتبشير بالتعاليم الجديدة والتأكيد على القيم والمباديء الأخلاقية المتأصلة في نفوس العرب بأسلوب إعلامي تتجلى فيه الموضوعية، ويتألق فيه نجم الحق والعدل .

## المصادر والمراجع :


**القرآن الكريم**

1- الأصفهاني : أبو الفرج على بن الحسين بن محمد الأموى 356 هـ الأغانى – شرحه وكتب هوامشه سمير جابر – دار الكتب العلمية – ط 2 بيروت لبنان 1412هـ-1992م

2- الأصفهاني : الراغب أبو القاسم الحسين بن محمد بن الفضل المتوفي 502هـ : المفردات في غريب القرآن دار القلم الدار الشامية دمشق بيروت ، ط1 ، 2010م

3- الأعرجي ، د. زهير : الشخصية الإسلامية مؤسسة إعلامية ، دار المعارف – بيروت ط1 ، 1402هـ .

4- إمام ، إبراهيم إمام : العلاقات العامة والمجتمع ، الإعلام الإسلامي المرحلة الشفهية ، ط1، مكتبة الأنجلو المصرية 1976م .

5- ابن حجر العسقلاني : أحمد بن علي (852هـ) : الإصابة في تمييز الصحابة – القاهرة 1323هـ، ط دار صادر _ بيروت لبنان .

6- ابن رشيق القيرواني : أبو علي الحسن (390- 456هـ) : العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الجبل ، بيروت لبنان ط4 ، 1972م .

7- ابن رواحة : عبد الله بن رواحة ، الديوان ، وليد قصاب ، جامعة الرياض ، دار العلوم للطباعة والنشر ، ط2 ، 1402هـ -1982م .

8- ابن سعد ،محمد بن سعد بن منيع الزهري ت230هـ كتاب الطبقات الكبير ، تحقيق د. علي محمد عمر ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ط1 ، 1421هـ- 2001م .

9- ابن عبد البر: يوسف بن عبد الله بن محمد النمري القرطبي المالكي (أبوعمر): الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، تحقيق محمد علي البجاوي ط،1 ، 1412هـ – 1992م

10- ابن كثير: عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي 701، 774هـ كتاب البداية والنهاية ، دار المعرفة بيروت – لبنان ، ط 10، 1997م

11- ابن مالك : كعب ، الديوان ، دراسة وتحقيق سامي مكي العاني مكتبة النهضة بغداد _ ط1، 1386هـ 1966 م .

12- ابن منظور ، أبو الفضل جمال الدين : لسان العرب – دار صادر_ بيروت لبنان ط2، 1997م.

13- ابن هشام : أبو محمد بن عبد الملك (218 هـ) : السيرة النبوية تحقيق كامل محمد عويضه دار العنان ، القاهرة ، ط 1 سنة 1423 هـ – 2002 م .

14- الجرجانى : الوساطة بين المتنبى وخصومه ، تحقيق وشرح محمد أبو الفضل ابراهيم ، وعلى محمد البجاوي ، دار إحياء الكتب العربية ط 2 سنة 1370 هـ – 1951 م .

15- الجمحي : ابن سلام محمد : طبقات فحول الشعراء – دار الكتب العلمية بيروت لبنان – 1422 هـ – 2001م .
16- حسان بن ثابت ، ديوان حسان بن ثابت – دار صادر، بيروت – 1974م .
17- الحصري: زهر الآداب وثمر الألباب ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد طبعة الحلبى بمصر 1953م.
18- خليل إبراهيم : د. عبد الرحمن دور الشعر فى معركة الدعوة الإسلامية أيام الرسول ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع – الجزائر 1971 م .
19- دورويش : د. محمد طاهر : حسان بن ثابت دار المعارف بمصر دون تاريخ .
20- رياض : د. شوقي رياض أحمد : شعر النقائض فى السيرة النبوية ط 1 (1408 هـ) – 1987 م، القاهرة.
21- عرفات : د. وليد : ديوان حسان بن ثابت ، دار صادر بيروت – 1974 م .
22- معروف : د. نايف : الأدب الإسلامي فى عهد النبوة وخلافة الراشدين – دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت لبنان – ط 1 –1410 هـ – 1990 م .
23- النص : د. إحسان : حسان بن ثابت حياته وشعره دار الفكر العربي – لبنان – 1965 م.
24- الهيتى : د. هادي نعمان : الإعلام العربي والدعاية الصهيونية ، المؤسسة العامة للصحافة والطباعة ، بغداد 1969م .

**الدوريات :**

25- أحمد عبد الله الطيار ، تأويل الخطاب الديني في الفكر الحداثي الجديد ، حولية كلية أصول الدين العدد 22 المجلد الثالث 2005م .
26- أبو مصطفى : د. يونس ابراهيم بحث بعنوان الدور الإعلامي فى شعر كعب بن مالك فى عهد النبوة مجلة الثقافة العربية ، العدد 284 ، سنة 2007م .